الرمز في درعيات أبي العلاء المعري

أ.م.د. عدنان كاظم مهدي
كلية الآداب / جامعة الكوفة

adnan.shaaban@uokufa.edu.iq

تاريخ الاستلام : ٢٠١٩/١٠/١٠

تاريخ قبول النشر : ٧/ ١/ ٢٠٢٠

الخلاصة :

يتناول هذا البحث الرمز في درعيات أبي العلاء المعري ، وهي قصائد تقع ضمن ديوان أبي العلاء المعري (سقط الزند) وهو ديوان شعري ضخم ، والدرعيات تضم بين طياتها كثيراً من الرموز والألغاز.

وقد سلكنا في هذا البحث منهجا جديدا يقوم على تفسير الرمز الموجود في الدرعيات بنصوصٍ من قصائد الدرعيات وغيرها من النصوص المبثوثةِ في الديوان نفسه ، أو من ديوان اللزوميات ومن ثمَّ المقارنة بينها وتفسير بعضها ببعض .

تناولنا ثلاث درعياتٍ ؛ الأولى كانت تدور حول موضوع الفقدان والنقص وذهاب الشباب، أمَّا الثانية فتُعبِّر عن عزلة الشاعر وتُبرر طريقة عيشه في الحياة، والثالثة تدور حول موضوع وعظي فلسفي يتمثلُ بخطاب الدرع للسيف.

يتكون البحث من تمهيد حول مفهوم الرمز وثلاثة مباحث يتناول الأول حياة أبي العلاء المعري وعصره ، ويدرس الثاني معنى الدرع لغة واصطلاحاً ومفهوم الدرعيات وبواعث نظمها ، ويتضمن الثالث صور الرمز في الدرعيات، ثم ذكرنا أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

الكلمات المفتاحية : الرمز ، الدرعيات ، ابي العلاء المعري

The symbol in the shields of Abu Ala Maari

Assistant Professor Dr. Adnan Kazem Mahdi
Department of Arabic Language / Faculty of Arts / University of Kufa
Adnan.shaaban@uokufa.edu.iq

Date received: 10/10/2019

Publication date accepted: 7/1/2020

Abstract

This research deals with the symbol in the shields of Abu Ala Al-Maari, poems that fall within the Diwan of Abu Ala Al-Maari (Fall of the ulna), a huge poetic Diwan, and Aldiriyat includes many symbols and puzzles.

We have taken in this research a new approach based on the interpretation of the symbol in the shields texts from the poems of the shields and other texts broadcast in the same bureau, or the Office of the necessities and then compare them and interpret each other..

We dealt with three shields; the first revolves around the issue of loss and shortage and the departure of young people, the second expresses its isolation and justifies the way of life, and the third revolves around the subject of philosophical preaching is the shield speech to the sword..

The research consists of an introduction and a preamble on the concept of the symbol and three topics dealing with the first topic of the life of Abu Ala Al-Maari and his era, and the second examines the meaning of the shield language and idiom and the history of the emergence of shields and the motives of the systems, and the third section included images of the symbol, and then we mentioned the most important findings of the research.

Keywords: The symbol , shields , Abi Ala Al-Maari

تمهيد :

الرمز لغةً كما قال الخليل (ت١٧٥هـ) هو: ((الإشارة مقصورة بالحاجب أو اللسان))[١]. ويرى صاحب التهذيب(ت٣٧٠هـ) أنَ الرمزَ ((كل ماأشرت إليهِ مما يُبان بلفظ ، بأي شيء أشرت إليه بيدٍ أو عينٍ))[٢]. وقيل إنَه ((الإشارةُ بالشفتينِ والحاجبِ))[٣]. وجاءَ في المحكم لابن سيده(ت٤٥٨هـ)،إنَ الرمزَ هو((تصويت خفيٌ باللِسانِ كالهمسِ، ويكون بتحريكِ الشفتينِ بكلامٍ غير مفهومٍ ،ويكون الإيماء بالحاجبِ، وغيرهِ)).[٤] أما ابن منظور (ت ٧١١هـ) فقد جمع بين المعاني الأربعة السابقة وردّها إلى معنى واحد ،إذ يقول:((الرمزُ تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلامٍ غير مفهومٍ باللفظ من غير إبانة بصوتٍ ، إنما إشارة بالشفتين وقيلَ الرمزُ إشارةٌ و إيماءٌ بالعينين والحاجبين والشفتينِ والفمِ))[٥].

ومن هنا يتبيَّن لنا أنَّ المعنى اللغوي ، يُشير إلى معنى الإشارة باليد أو الشفتين أو الحاجب أو التصويت الخفي باللسان، وهذا المعنى للرمز كما نرى غير أدبي ؛ وإنما يمكن لنا أن نعده من أنواع البلاغة الموجزة التي توفر على المرء عناء الكلام أو مشقة الكشف كأن تشير إلى شخص بعيد عنك بيدك تريد منه القدوم أو تشر له بالجلوس أو تغمز بعينك لإيصال رسالةٍ ما لشخص قريب منك ، فهذه الرموز كلها فضلاً عن أنها غير أدبية ،فهي متواطئة ؛أي تواضع الناس على التفاهم بها، فبعض هذه الرموز تجدها تشير إلى نفس المعنى حتى بالبلدان الأخرى ؛ مثل حركات اليد والشفة والعين والرموز الرياضية والكيميائية والدينية.[٦]

أما الرمز اصطلاحاً عند العرب القدماء فقد سلك المنهج الاصطلاحي في العصر العباسي ، إذ أشار الدكتور درويش الجندي إلى((أنَ الرمزَ لم يتخذ معنىً اصطلاحيا إلا منذ العصر العباسي عصر التحول الظاهر في الحياة العربية الاجتماعية والعقلية وعصر النهضة العلمية والأدبية،...وقد جنحت الحياة في هذا العصر إلى صور من التعقيد، وتعرضت لألوان من الكبت والضغط، وفي هذا العصر استكملَ التشيعُ والتصوفُ وسائلهما المذهبية والأسلوبية وقد كان ذلك كلهُ مدعاةً إلى نشاط التعبير الرمزي على ألسنة الأدباء شعراءً وكتاباً))[٧].

وكان أدباء العصر العباسي ينظرونَ إلى الرمز على أنه فنٌ من فنون البلاغة الأدبية ، ولم يُعد الرمزُ يقتصر على الحركةِ أو الإشارة باليد أو العينين بأقل عدد ممكن من الكلمات على سبيل الإيجاز؛ وإنما هو وسيلة فنيـّة اتخذها الأدباءُ للتعبير عن أهوائهم ومعتقداتهم الدينيّة والسياسية على نحو ما نجدهُ عندَ شعراء المتصوفةِ . ولعلَّ من أقدم النقاد العرب الذين تحدثوا عن الرمز؛ هو الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ولكننا نجدهُ قريباً في كلامه من المعنى اللغوي المعروف للرمز((فأما الإشارة فباليد ، وبالرأس ، وبالعين والحاجب والمنكب ، إذا تباعد الشخصان ، وبالثوب وبالسيف ، وقد يتهدد رافعُ السيفِ والسوط ، فيكون ذلك زاجرا، ومانعا ...ووعيدا وتحذيرا. وقد قال الشاعرُ في دلالات الإشارة [٨]:

أشـــارتْ بطـــرف العـــين خيفـــة أهلِهـــا إشـــــارةَ مـــــذعورٍ ولـــــم تـــــتكلّمِ
فأيقنـــتُ أنَّ الطَّـــرفَ قـــد قـــالَ مرحبـــا وأهـــــلا وســـــهلا بالحبيـــــبِ المتـــــيَّمِ))

ومن ثم جاء من بعده قدامة بن جعفر(ت٣٢٧هـ) الذي عدَّهُ الدكتور الجندي أول من تكلمَ عن الرمز بمعناه الاصطلاحي[٩] ،إذ يَطلقُ الإشارةَ (وهي معنى الرمز) على الإيجاز ملاحظا تميز الإشارة الحسية بالسرعة والقصر ،فهو يقول في تعريف الإشارة :((أن يكون اللفظ القليل مشتملا على معانٍ كثيرة بإيماءٍ إليها أو لمحة تدل عليها كما قال بعضهم وقد وصفَ البلاغة فقال : هي لمحة دالة))[١٠]

ومن القدماء الذين تابعوا قدامةَ في تعريف الرمز اصطلاحاً ؛ ابن رشيق القيرواني(ت٤٥٦ه)، فقد عرَف الرمز بأنّهُ ((من غرائب الشعر ومُلَحِهِ وبلاغة عجيبة تدل على بعد المرمى وفرط المقدرة وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرّز، والحاذق الماهر وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة، واختصار وتلويح يُعرف مجملا ، ومعناه بعيد عن ظاهر لفظه))[١١]. ويُلحظ من هذا التعريف أنَّ ابن رشيق قد أضافَ على تعريف قدامة السابق غير المباشرة في الدلالة، فقوله:(ومعناه بعيد من ظاهر لفظه)،نص في إفادة غير المباشرة في الدلالة[١٢].
ومما يُلحظ أن بعضهم يعدُّ الرمز نوعا من أنواع الإشارة[١٣]، وكان عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٧ه) يجمعُ بينَ الكنايةِ والتعريض والرمز والإشارة في نسق فني واحد نظرا إلى مجمل الأداء الحاصل بهذه الأساليب وما ينتجُ عنها ،أو التمييز بين هذه الأنواع على أساس درجة الخفاء وتوسط اللوازم[١٤].

وهناك شيء آخر نود أن نشير إليه ألا وهو رأي المُحدثين بالرمز لدى العرب القدماء ، فقد اختلف النقاد فيما إذا كان شعراء العصور القديمة يعرفون الرمز أو لا؟ فذهب جمع من النقاد إلى أنه لم يكن باستطاعة الشاعر الجاهلي والعربي أن يلمَّ بهذه التجربة لأن مستواه الإبداعي وقدارته المعرفية لم تكن لتيسِّر لهُ الدخول في أعماق هذه التجربة![١٥].

نقول: إنَّ المشكلة الحقيقية التي تواجه هؤلاء النقاد وتواجهنا هي أننا نحنُ نريد أن نخضع مفهوم الرمز القديم لمصطلح الرمزية الحديث غير ناظرين للفوارق الزمنية والجغرافية والسياسية والاجتماعية والدينية ، فإذا لم نحسّ بهذا الانطباع عندَ اطلاعنا على الشعر الجاهلي أو الإسلامي أو العباسي فإننا سنحكم عليه بالسلب ؛ لذا نفترض أنَّ الرمز في الأدب العربي القديم نوعان :

١ــ رمز بسيط(لا يلتقي لا من قريب ولا من بعيد مع مفهومنا الحديث للرمز).
٢ــرمز مركب(يلتقي في بعض جوانبه أو معظمها مع مفهومنا الحديث للرمز).

أما الرمز المركب بالنسبة لنا والذي يمثل ظاهرة متميزة في الشعر العربي فهو الرمز في الشعر الصوفي خصوصا شعر القرنين الثالث والرابع الهجريين فقد اصطنع أصحابه الأسلوب الرمزي في التعبير ؛عن حقائق التصوُّف ،ويكشف لنا القشيري(ت٤٦٥ه) في رسالتهِ المشهورة عن الدوافع التي أفضت بأولئك المتصوفين إلى اصطناع الرمز في التعبير[١٦] ، فيقول((اعلم أنَّ لكلِّ طائفةٍ من العلماءِ ألفاظا يستعملونها ، وقد انفردوا بها عمَّن سواهم ، كما تواطئوا عليها لأغراض لهم فيها من تقريب الفهم على المتخاطبينَ بها ، أو للوقف على معانيها بإطلاقها ، وهم يستعملون

ألفاظا فيما بينهم ،قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم ،والستر على من باينهم في طريقتهم ، لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب غيرةً منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها ، إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع من التكلف أو مجلوبة بضربٍ من التصرف ، بل هي معانٍ أودعها الله تعالى في قلوب قوم واستخلص لحقائقها أسرارَ قوم)).[١٧]

والذي يتبين من كلام القشيري أنه أصبحت للصوفية لغة اصطلاحية خاصة اتفقوا عليها فيما بينهم بحيث يفهمونها هم ،لا غيرهم ؛ بل أنها مبهمة على من ليس بصوفي ؛ لأن هذه اللغة تُعبِّر عن أسرار وحقائق ذوقيَّـــة وهبها اللهُ لهم ،وهم يخشون أن تشيع هذه الحقائق وتلك الأسرار بين من ليسوا أهلا لها ، وينبّه القشيري أيضا إلى أنّ الصوفية كانوا يسترون معانيهم عن الأجانب ؛ ولعله يقصد بذلك الفقهاء الذينَ بدأت خصومتهم للصوفية منذ القرنين الثالث والرابع تشتدُّ، وبدأ صراعهم مع الصوفية واضحا من خلال محاكمات جرت لبعض الشخصيات الصوفية المعروفة[١٨]. ومن الملامح العامة للرمز في الشعر الصوفي استعماله المحدود في أطار جماعتهم فقط إذ لا يريدون أن يطلع عليه الناس أو يتمكنوا من اكتشافه لأسباب خاصة بهم ، وإنّ الدوافع التي تكمن وراء الرمز هي دينية محضة ، وإنّ الآلية التي يتم من خلالها إنتاج هذا الرمز معقدة ؛لأن الشاعر يحضِّر من أجل هذه المعاني التي تحدثنا عنها ؛طقوسا دينية خالصة ومعقدة متنزِّها فيها عن التفكير في عالمه هذا ،متجها بقلبه إلى الله سبحانه وتعالى ،أي أن عملية توليد الألفاظ أو الابتكار تجري ضمن أطار روحي حتى يعبروا حسب ما يعتقدوا عن حقيقة العشق الإلهي في كوامنهم ، وهم في ذلك يشبهون إلى حدٍ ما الشعراء الرمزين الفرنسيين الذين تمردوا على ((عقيدة الوضوح وتقرير الحقائق بطريقة الشرح والوصف والتسمية ؛ إذ رفعوا شعارَ الوصول إلى الحقيقة المطلقة التي يهتدي إليها الأديب لا عن طريق الحقائق الخارجية وإنما عن طريق العكوف على العالم الباطني الذي يستطيع فيه الشاعر أن يعبر عن المعاني المعقدة المستعصية على الفهم والأحاسيس الغامضة الخفية تعبيرا روحيا استشرافيا)).[١٩]

ومن جانب آخر هناك من ذهب إلى أنّ جميع أنواع الغزل الذي كان الشاعر الجاهلي يقدم به لقصائده من باب الرمز وعنده أنّ الشاعر لا يقصد بهذا الغزل إلى موضوعهِ ؛ وإنما يقصد به إلى غير ذلك مما يهم أمرهُ، ويأخذ عليه نفسه، فالمرأة في ذلك رمز، وأسماء النساء أسماء تقليدية تجري في الشعر عند الشعراء دون وقوع على صاحباتِها، بل أنّه عدّ كذلك ما روي عن العصر الجاهلي من قصص الحب مثل قصص غرام (امرىء القيس) ولهوه وقصة غرام عنترة من قبيل الرمز.[٢٠]

ومهما يكن من قول فإن العرب كانوا يعرفون الرمز ولكن بحدود معينة تتناسب مع الحالة الفكرية والثقافية والاجتماعية لهم، بدءا من العصرين الجاهلي والإسلامي وصولا للعصر العباسي الذي يمس موضوع دراستنا .أما الرمز في الأدب العربي الحديث فيختلف اختلافا جذريا عن الأدب القديم فقد تأثر أدباء هذا العصر إلى حد كبير بالمدرسة الرمزية القادمة من خلف حدود الوطن العربي؛ ألا وهي الغربية التي نشأتْ بالتحديد في فرنسا في أواخر القرن التاسع عشرَ وبداية القرن العشرين والتي دعا إليها (جين موریاس) في مقالة له مشهورة عنوانها((بيان الرمزيين)) ، نشرها في جريدة (الفيكارو) عام ١٨٨٦م[٢١] .

وقد اعتمدتْ هذه المدرسةُ الغربية الفلسفة أساسا لأفكارها ومرتكزاً لتعابيرها في الشعر أولا ؛ ثم الدراما والنقد الأدبي وباقي الفنون الأخرى في الموسيقى والرسم ، وعلى الرغم من أنَ الرمزية حديثة جدا فإنَ جذورها موغلة في القدم تعود إلى عهد أفلاطون، ولقد اتخذت الرمزيةُ الألغاز والتلميح بدلا من الأسلوب التقريري المباشر ؛ والسبب في ذلك إحساسهم بعجز العلم في إشباع رغبة الإنسان بمعرفة أسرار الكون ، واعتقادهم أن الغموض والإبهام يُوصلان الانسان إلى مرحلة الجمال، وإنّ اللّغةَ هي التي تعينهم على تحقيق أهدافهم ، وأنّ اللغة بحدِّ ذاتها رموزٌ للعالم الخارجي والعالم النفسي، وعدّوا وضوح العبارة إفقارا للفكرة الأدبية التي يُعالجونها[٢٢]. وقد جاءت الرمزية ((ثورة على البرناسية التي أخضعت الأدب للحقائق العلمية الواضحة، والرومانطيقية المائعة)).[٢٣] أما الرمز عند الفرنسيين فيطلق لغةً عندهم على((شكل أو علامة أو أي شيء آخر مادي له معنى اصطلاحي ؛كالكلب يرمز به للأمانة ،وكالرموز التي تدلُ على العناصر الكيميائية ،وكالعلامات التي على قطع النقود مشيرة إلى موضع ضربها))[٢٤]، وإنَّ ((لفظة الرمز(symbole) عند الغربيين مشتقة من فعل يوناني يعني اشتراك شيئين في مجرى واحد وتوحدهُما؛ وهذان الشيئان هما :الرمز ومعناه ، أي الرمز والمرموز))[٢٥]. أما فيما يخص تعريف الرمز في الاصطلاح الأدبي، فقد عرّف (بودلير)الرمز بأنهُ((مجاز نوعا ما،يسعف الإنسان على فهم المثال بالإشارة إليه وتمثيله وتمويه في آن واحد.))[٢٦].

والرمز بالمفهوم الغربي يختلف عن مفهوم العرب القدماء الذين يعدون الرمز نوعاً من أنواع الإشارة فقد ميَّز (أرنست كاسيرر) بينهما بقوله:((إنَّ الإشارة جزء من عالم الوجود المادي وأما الرمز فجزء من عالم المعنى الإنساني، والإشارة مرتبطة بالشيء الذي تشير إليه على نحو ثابت ، وكل إشارة واحدة ملموسة تشير إلى شيء واحد معين . أما الرمز فعام الانطباق يوحي بأكثر من شيء واحد وهو متحرك ومتنقل ومتنوع))[٢٧].

وقد أثّرت الرمزية الغربية بشكل كبير في المتلقي العربي كونهُ أدبا جديدا يتسم بالغموض وخفاء الدلالة ، وهو ما يتفق مع رغبات الطلائع المثقفة ،التي اتخذت من الرمزية منفذا للتعبير عن الواقع المهزوم ،وإخمادا للبراكين المتأججة في نفسها ، وإيصالا للرسالة الشعرية عبر وسائل أسلوبية غير مباشرة وهروبا من بطش السلطان ، وردّا للقيود الاجتماعية التي تحرم ما يبيحهُ الشاعر لنفسه .

المبحث الأول : حياة أبي العلاء المعري وعصره

هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي ، نسبةً إلى عدّة قبائل اجتمعوا قديما في البحرين وتحالفوا على التناصر، وأقاموا هناك فسموا تنوخا .والتنوخ: الإقامة. وكانت ولادته سنة ثلاثٍ وستين وثلاثمائة بالمعرة[٢٨]،في أسرة معروفة بالعلم والأدب والدين، وقد اشتهرت هذه الأسرة بالقضاء الذي ظلَ متصلا بهم قرونا طويلة ،قبل المعري وبعده[٢٩]. وقد سُميَ بالمعري نسبةً إلى معرة النعمان التي ولد فيها، وهي بلدة صغيرة في الشام بالقرب من حماة وشيزر[٣٠]. أُصيب بالجدري في الثالثة من عمره[٣١]،ونجا من الموت ولكنهُ لم ينجُ من التشوه الخَلقي ،فقد كُفَ بصره ،فتراءى للناس بمنظرٍ غير مُحبب ومريب، إذ كانت يُسرى عينيه غائرة كجفرةٍ، واليمنى ناتئة[٣٢]،ومع هذا الحادث المؤلم تبدأ قصة أبي العلاء مع الدنيا.

وهذ الأمر على ما فيه من ألم وحسرات للشاعر إلا أنه كان مكسبا كبيرا للأدب العربي ،فهذه الحياة الاستثنائية وواقعها ؛ جعلت منه شخصية فريدة في التاريخ، إذ كان لها حضور كبير في الأدب العربي.

ومن خلال الاطلاع على أخباره في أمهات الكتب والمراجع ، غالبا ما يُشارُ إلى أمور كان لها أثر حاسم في تحديد مجريات حياته ، منها هذه العاهة التي ابتدأنا الحديث عنها، ووفاة والديه اللذانِ كانا لهُ بمثابة الدرع الحصين والمُعين على مواجهة متاعب الحياة ، فقد زاده فقدهما غربة إلى غربته في هذا العالم ، فأصبح غريب الروح والجسدِ مما نمى في نفسه هذا التشاؤم الذي عُرف عنه[٣٣] .

والأمر الآخر هو فشله في رحلتهِ إلى بغداد وقد بدت آثار هذا الأمر واضحة عندما اعتزل الدنيا وأهلها في داره [٣٤]؛ فانظر إلى قوله قبل سفره إلى بغداد:

(الوافر)

أرى العنقاءَ تكبُرُ أن تُصادا ... فعاند من تُطيقُ لهُ عنادا[٣٥]

وهوَّنتُ الخطوبَ عليَّ حتَّى ... كأنِّي صرتُ أمنحُها ودادا

كأنِّي في لسانِ الدهرِ لفظٌ ... تضمّنَ منهُ أغراضا بِعَادا

فلا وأبيكَ ما أخشى انتقاصا ... ولا وأبيك ما أرجو ازديادا

ليَ الشرَفُ الذي يطَأُ الثُريا ... معَ الفضلِ الذي بهرَ العِبادا

وكم عينٍ تُؤمِّلُ أن ترانِي ... وتفقِدُ عندَ رؤيتي السَّوادا

ولو ملأَ السُّها عينيهِ منِّي ... أبرَّ على مدى زُحلٍ وزَادا

أفلُّ نوائبَ الأيامِ وحدي ... اذا جَمَعتْ كتائبَها احتِشادا

وقوله:

(الوافر)

أفوقَ البدرِ يُوضعُ لِي مهادُ ... أم الجوزاءُ تحتَ يدي وسادُ[٣٦]

قنعـــــتُ فخلـــــتُ أنَّ الـــــنَّجمَ دونـــــي وســـــــيَّانِ التَّقنـــــــعُ والجِهـــــــادُ

وانظر ماذا يقول بعد الرجوع :[٣٧]: (الوافر)

عرفتـــــكِ جيـــــدا يـــــا أُمَّ دفـــــرٍ ومـــــا إن زُلـــــتِ ظالمـــــةً فزولـــــي

دُعيـــــتُ أبـــــا العـــــلاء وذاكَ مـــــينٌ ولكـــــنَ الصـــــحيحَ أبـــــو النـــــزولِ!!!

وقوله[٣٨]: (السريع)

ربِّ متـــــى أرحـــــلُ عـــــن هـــــذهِ الـــــدْ دُ نيـــــا فـــــإني قـــــد أطلـــــتُ المقـــــامْ

لـــــم أدرِ مـــــا نجمـــــي ولكنَّـــــهُ فـــــي الـــــنَّحسِ مُـــــذْ كـــــانَ واســـــتقام

فـــــلا صـــــديقي يترجّـــــى يـــــدي ولا عـــــدوِّي يتخشَّـــــى انتقـــــام

والعـــــيشُ سُـــــقمٌ للفتـــــى مُنْصِـــــبٌ والمـــــوتُ يـــــأتي بشـــــفاءِ السِّـــــقامْ

والتُّـــــربُ مثـــــواي ومثـــــواهمُ ومـــــا رأينـــــا أحـــــداً منـــــهُ قـــــام

وقولهِ[٣٩]: (الطويل)

لحـــــا اللهُ غـــــارات الســـــنين فإنَّهـــــا مُبدّلـــــةٌ ظِلمانهـــــا بريَـــــال

ومـــــا ســـــرّني ربُّ الخيـــــالِ بشخصـــــهِ فيطلـــــبُ منـــــهُ النُّـــــومَ طيـــــفُ خيـــــالِ

وهـــــوَّنَ أرزاء الحـــــوادثَ أنّنـــــي وحيـــــدٌ أُعانيهـــــا بغيـــــرِ عيـــــالِ

فـــــدعني وأهـــــوالا أُمـــــارسُ ضَـــــنْكها وإيَّـــــاكَ عنّـــــي لا تقـــــف بحيَـــــالي!!

فأينَ أبو العلاء الذي ارتفع بنفسه مفتخرا أعنان السماء؟ ؛من هذا الضرير المنكسر، المستسلم لأمواج الألم واليأس حتى دعا نفسهُ أبو النزول !؛ لذا كانت هذه الرحلة نقطة تحوّل في حياة ذاك الشاب الطامح، بسبب تلك التجارب المؤلمة التي حصلت له في بغداد ؛مثل قلة المال وبعده عن الأهل وغربته فيقول[٤٠]:

(الطويل)

فيـــا بـــرقُ لـــيس الكـــرخُ داري وإنَّمـــا رمـــاني إليـــهِ الـــدَّهرُ مُنـــذُ ليـــالي

فهـــل فيـــكَ مـــن مـــاءِ المعـــرَّةِ قطـــرةٌ تُغيـــثُ بهـــا ظمـــآن لـــيسَ بســـالِ؟

وأنـــي تيمَّمـــتُ العِـــراقَ لغيـــرِ مـــا تيمَّمـــهُ غـــيلانُ عنـــدَ بـــلالِ

فأصـــبحتُ محســـودا بفضـــلي وحـــدهُ علـــى بُعـــدِ أنصـــاري وقلَّـــةَ مـــالي

نـــدمتُ علـــى أرض العواصـــم بعـــدما غـــدوْتُ بهـــا فـــي الســـومِ غيْـــرَ مُغـــالِ

يضاف إلى ذلك اضطهاد الناس لهُ ،كما في عدة حوادث وقعت لهُ ؛ منها ببغداد، ولاسيما تلك الحادثة المشهورة التي حصلت في مجلس الشريفين: الرضي(ت ٤٠٦ه) والمرتضى(ت ٤٣٦ه)، والتي أدت به إلى أن يسحب من رجله ويلقى خارج مجلسهما ،وأيضا تلك الحادثة المعروفة التي حصلت في مجلس أبي الحسن علي بن عيسى الربعي النحوي(٤٢٠ه)، الذي نعتهُ بالأصطبل وهي في لغة أهل الشام تعني الأعمى[٤١].

ومن ثم فإن المعري إنسان مجروح (الأنا) وهذا الأمر أدى به إلى ردود فعل عنيفة اتجاه نفسه والمجتمع ،فلا نستغرب لتلك الآراء، والمعتقدات التي تنسب إليه فربما جاء بعضها على سبيل إغضاب الآخر واستفزازه ، فشخصية المعري من خلال اطلاعنا عليها تبدو في بعض مناحيها مضطربة نتيجة ما يحيط به من اضطراب: سياسي واقتصادي، اجتماعي وديني...وسنتحدث عن ذلك فيما بعد.

وهناك أمر آخر غامض بالنسبة لنا نحن الدارسون ألا وهو؛ المرأة في حياة أبي العلاء ،إذ إنَّهُ نظر إليها على أنَّها كائن مطبوع على الفساد والشر فضلا عن أنها مصدر للفتن والغدر لكونها متهالكة على لذاتها[٤٢]،فقد شنَّ عليها حملة ظاهرة في أشعاره بما فيها الدرعيات ؛إذ تجدهُ في الدرعيَّةِ التاسعةِ والعشرين يتكلمُ على لسانِ امرأة عجوز تنصحُ أبنها بلبس الدرع للجهاد وطلب المعالي، وتحضهُ على العزوف عن الزواج،لكون النساء لا يجيء منهنَّ إلا الشر والأذى وأنك لو طاوعتهنَّ ليأتينَ لكَ بامرأةٍ كأنها غول! يقولُ[٤٣]:

(الوافر)

عليكَ السَّابغات فإنَّهُنّهْ يُدافعنَ الصُّوارمِ والأسنَّهْ
ومن شهد الوغى وعليهِ درعٌ تلقّاها بنفسٍ مُطمئنَّهْ
ولم يترك أبوه سوى قناةٍ ودرعٍ آزَرٍ فرسا وجُنَّهْ
فحِنَّ إلى المكارمِ والمعالي ولا تُثقِل مَطاكَ بعبءِ حَنَّهْ
فإنِّي قد كَبِرتُ وما كَعابُ مُلائمةً عَجُوزا مُقسئنَّه
ترى تنوُّمها وترى ثغامي فتهزأ من مُنهبلةٍ مسنَّه
فلا تُطع الدوالفَ مُرسلاتٍ فكم أوقعنَ في أرض مَجنَّه
يقُلنَ فُلانةُ أبنةُ خيرِ قومٍ شِفاءٌ للعيونِ إذا شفنَّه
أولئكَ ما أتينَ بِنُصحِ خِلٍّ ولا دِنَّ المليكَ ولا يدِنَّه
ولو طاوَعْتَهُنَّ لَجِئنَ منها بأُختِ الغولِ والنَّصفِ الضِّفَنَّه

والسؤال هنا من هذه المرأة التي يبغضها هكذا ؟ و يذكرها دائما بالسوء في أشعاره وفي كل فرصة سانحة .

لنفترض أنَّ هذه المرأة التي تعارض زواجه هي أمه الواقعية وأن المرأة التي تحذرهُ منها هي الزوجة ؛ أمَّا معارضتها من زواج ابنها فليس من أجل الجهاد كما يبدو؛ وإنما لأنها تكره أن يأتي بزوجٍ له شابة فهي تبغض الكنَّه:لأنها ستُنافسها على حبها له ، كما في البيتين الخامس والسادس ؛ فقد كرهتْ أن تأخذ هذه الشابة التي تشبه التنوم ـــــ وهو زرعٌ شديدُ الخضار (يشبهون به الشعر الأسود)ـــــ ، ابنها منها، وهي العجوز الثغام ذلك النبت اليابس ـــــ (الذي يشبهونه بالشيب) .

وللباحثين آراء مختلفة في هذا الموضوع فيرى بعضهم ، أنّ المعري بسبب عماه ودمامة شكله كان يزهد في الدنيا والناس والمرأة على وجه الخصوص[٤٤] ، كذلك يعتقد الدكتور عبد الله الطيب ؛ أن دمامة شكله هي التي حرمته من نعمة التمتع بالنساء، ولو كان رجلا معتدل المزاج، خاليا من الكبرياء؛ لكان قد ظفر بمحبوبة واحدة على الأقل ؛ ولكن كبرياءه وشعوره بالنقص والخسران جرَّاء عماه ،ومزاجهُ العلمي، واعتداده بفكره وذكائه ،كل ذلك وقف سدا منيعا بينه وبين المرأة، وقد أضاف الدكتور إلى هذه الأمور شيئا آخر وهو قوة الشك عند المعري التي مصدرها عماه إذ يرى إن هذا الرجل بما وُهِبَ من فطنة وذكاء واعتداده بشخصه ، لا يرضى لنفسه إلا بامرأة جميلة ،شأنه في ذلك شأن المبصرين ولعله كان يظن أن مزية الأبصار وحدها كافية للحصول على امرأةٍ جميلة[٤٥]، فكان يخشى أن تزف إليه امرأة يزعم الناس أنها جميلة وهي تشبه الغول؛ لمعرفتهم بعجزه عن الأبصار[٤٦] :

(الوافر)

ولـــــــو طـــــــاوَعْتَهُنَّ لَجِـــــــئنَ منهـــــــا بأخـــــــتِ الغـــــــولِ والنَّصـــــــفِ الضِّـــــــفنَّه

من هنا يتبين لنا أولا ؛المعرفة الكبيرة وراء رفض الأم(في هذه الدرعية أعلاه) من تزويج ابنها؟ ،وثانيا أنه كان يتخذ الأعذار والحجج في بغض المرأة من أجل أن يخفف من حدّة فقدها من حياته الخاصة!.

وقد ألفنا نحن الدارسون أن معظم الشعراء تطرقوا إلى موضوعات الغزل وأبدعوا فيها، وأبو العلاء طرح على نفسه هذا السؤال :كيف يمكن أن لا تكون لي معشوقة وأنا الشاعر الأديب الفقيه، فيتذكر عاهته التي مُني بها وشكله غير المرغوب فيه ، فيزجر قلبه عن التفكير بمثل هذه الأمور ويدعوه للانصراف عنها ، فهذه النظرة السلبية اتجاه المرأة جاءت للتعويض عن هذا الجزء المفقود من حياته ، فترى المعري يحاول أن يبتعد عن العواطف الإنسانية لأنها تشعره بالضعف وتذكره بنقصانه وغربته اللذينِ يبغضهما، ولكننا لا نعدم وجود شطحات منه بدرت من غير أن يدري وبشكل لا شعوري تسللت من أعماق قلبه الكسير لتلقي بنفسها على بعض قصائده وقد أشارت الدكتورة بنت الشاطئ إلى عدة قصائد تحمل هذا المعنى((ولا نعلم من أخباره ما ينم عن حبه لامرأة ما، وليس في آثاره إشارة من قرب أو بعد إلى انه عانى التجربة في الواقع المادي. ونقول مع ذلك، إن شعره في الغزل معبِّر عن معاناة وجدانية صادقة لظمأ الحب، وقد أعوزه المحبوب ففاضت أشواقه تنفيسا عما يكابد من ظمأ ولهفة)).[٤٧]

وفيما يتعلق بعصره فقد شهدت الحياة السياسية في القرن الرابع الهجري اضطرابات شديدة ؛ بسبب كثرة المتنازعين على السُّـــلطة وكثرة الفتن التي كانت تُصيبُ الناس في ذلك العصر ، فضلا عن تكرار الحملات الصليبية التي هاجمت بلاد الشام وعاثت فيها فساداً[٤٨] .ففي هذا العصر عادت المملكة الإسلامية على ما كانت عليه قبل الفتح العربي إذ نشأتْ فيها دول صغيرة منفصلة بعضها عن بعض ،وفي نفس الوقت متناحرة من أجل توسيع سلطتها الصغيرة الى مملكة كبيرة الأمر الذي أدَّى إلى كثير من التناحرات والخلافات فيما بينها[٤٩]، وقد عاصرَ أبو العلاء ثلاثة دول في حياته ؛وهي الدولة الحمدانية، والفاطمية ، والمرداسية[٥٠]. وقد وصف المعري تلك الأحوال المضطربة قائلاً [٥١]:

(الكامل)

مُـــــلَّ المقـــــامُ فكـــــم أعاشـــــرُ أُمّـــــةً أمَـــــرَتْ بغيـــــر صـــــلاحها أُمراؤهـــــا

ظلمـــــوا الرعيـــــة واسْـــــتجازوا كيـــــدها فعـــــدُوا مصـــــالحها وهُـــــم أُجراؤهـــــا

والظلم ليس من طبع الرؤساء فحسب ،بل الرعية هي بدورها تمارس الظلم:

(الخفيف)

كلنـــــا غـــــادرٌ يميـــــلُ إلـــــى الظلـــــ ـــــم وصـــــفو الأيـــــامِ للتعكيـــــرِ[٥٢]

ورجـــــالُ الأنـــــامِ مثـــــل الغـــــواني غيـــرَ فـــرق التأنيـــث والتذكيـــــــــرِ

وكان من الطبيعي أن تتأثر الحياة الاقتصادية بتدهور الحياة السياسية ،فقد كثر العيّارون وقطّاع الطرق ،والسلب والنهب ،وكثرت الحرائق بسبب الفتن التي كثيرا ما قامت بين المذاهب الإسلامية كما حدث في بغداد وغيرها من المدن!!، يضاف إلى ذلك المجاعات والأمراض التي أُبتليَ بها الناس في جميع الأمصار الإسلامية!![٥٣].

أما الحالة الاجتماعية فلم تكن بأحسن من شقيقاتها البائسات! فقد انتشر الفقر والجهل والغدر والاضطهاد، حتى أصبح الشر يشملُ المجتمع بكامله، وتصور أبو العلاء إن هذا الفساد، لايقتصر على عصره وإنما العصور القادمة ستكون أكثر فسادا: (الطويل)

فـــــإن يـــــكُ رَذْلا عصـــــرنا وأنامُـــــهُ فمـــــا بعـــــد هـــــذا العصـــــرِ شـــــرٌ وأرذلُ[٥٤]

ومن الناحية الدينية فإنها لم تنعزل عن بقيَّة النواحي الأخرى ، بل تأثرت بها تأثيرا يكاد يكون كليا. فالدين لم يعد يتحكم في نفوس الناس بل أصبح الخلل ،من الالتزامات الدينية أمرا مقبولا لدى معظم الناس ، مما أفسحَ المجال لترسيخ عوائد الكذب والنفاق والرياء[٥٥] .

المبحث الثاني: معنى الدرع لغة واصطلاحاً ومفهوم الدرعيات وبواعث نظمها:

الدرع لغةً : هو ((لبوسُ الحديدِ، تذكر وتؤنث، درعٌ سابغةٌ ،ودرعٌ سابغ، والجمع في القليل ؛أدرعٌ وأدراعٌ، وفي الكثير دُرعٌ، وتصغير درعٍ دُريعٌ، بغير هاء، وأدرعَ بالدرعِ وتدرَّعَ بها، وأدَّرعها وتدرَّعها:لَبسها ، ورجلٌ دارع: ذو درعٍ على النسب، ودِرعُ المرأة :قميصُها ،ودِرعُ المرأة مذكر لاغير، والجمعُ أدراع))[٥٦].

والدرع نوع من أنواع السلاح ،وهي جبة من الزرد (الحديد) المنسوج ، يلبسها المقاتل؛ لتقي جسده ضربات، الأعداء وطعناتهم وهي من مكملات هيأة الفارس المقاتل ،يُشيرُ لبسُها إلى الاستعداد للقتال، ومتى ما كانت هذه الدرع قوية وجديدة دلَّت على حسن التأهُب والاستعداد للقتال ، ولهذه الدرع عدَّة أنواع ؛ منها القصيرة ،والطويلة الذَّائلة[٥٧] وأول من اتخـذَّ الدرع ولبسها ؛داود ــ (عليه السلام)ــ إذا جاء في كتاب الله عزَّوجل ((وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ))[٥٨]، وقوله تعالى((وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ))[٥٩].

والدرعيات كما عرفها الدارسون: هي مجموعة من القصائد والمقطّـعات قالها أبو العلاء في وصف الدرع أيام عزلتهِ في المعرة ،على لسان رجلٍ أسن فترك لبس الدرع ، أو على لسان رجلٍ رهنها ، وأخرى على لسان درع تخاطبُ سيفا ، أو رجل خانهُ آخر في درع ،أو فارسٍ سألَ عن درعِ أبيه ، أو امرأة توصي ابنها بلبس الدرع للجهاد والعزوف عن

الزواج[٦٠]، ويبلغ عدد قصائد الدرعيات إحدى وثلاثين قصيدة ،تضمُّ خمسُمائة وتسعة وتسعين بيتا من الشعر، وأطول هذه القصائد هي الدرعية السادسة.

اختلف الدارسون في بواعث نظم الدرعيات ، فذهبوا في ذلك مذاهبا شتى ؛ فمنهم من يرى إنَّ أبا العلاء وجد في الدرع مجالا، لإظهار عبقريتهِ وتفنُّـــنِهِ وقدرتهِ على التصرفِ في المعاني والأخيلة[٦١]. ومنهم من قال إنَّ أبا العلاء أرادَ أن يتخذ من ((الحوم حول الدرع وسيلة إلى طرق موضوعات تتعلق بتفضيل المجاهد على القاعد وبالتالي إلى تفضيل الذي ينظرُ إلى الدنيا بعين جـــــدٍّ على الذي يراها لهوا بالنساءِ خاصة))[٦٢] ،أما الدكتور طه حسين فيرى أن أبا العلاء حفظ في وصف الدرع الشيء الكثير فأرادَ أن يُظهر مقدرته الفنية فوضعَ ديونا خاصا لها[٦٣].

والسؤال هنا، هل هذه الأمور التي ذهب إليها الباحثون كافية؟ ، وهل يعقل أن كل هذا الجهد الذي بذله شاعرنا في نظم درعياته ، من أجل أن يظهر موهبته الثقافية والعلمية كما يقال؟ ،ألا يمكن لنا أن نقول إنه أراد من هذا النظم وهذا الموضوع خاصة (وصف الدرع) أن يلبي حاجةً في نفسه أو يحقق ذاك الحلم والرغبة الملحة في أن يكون إنساناً طبيعياً يتحرك ويقاتل ويدافع؟ ألا يمكن أن نقول إن عجزه ، وهو المستطيع بغيره ،دفعه إلى هذا الأمر؟ وأنَّ هذه الأبيات المبثوثة في الدرعيات واللزوميات ألا توحي لنا بمدى تأثره وتألمه من عجزه وملازمته لمكانه:

(السريع)

مـــــالي حِلـــــسَ الرّبـــــعِ كالميـــــتِ بعـــــ ... دَ السَّـــــبعِ لـــــم آســـــف ولـــــم أنـــــدمِ[٦٤]

علـــــى أُنـــــاسٍ مـــــن يُعاشـــــرُهمُ ... تُعـــــوزْهُ فيـــــهم عِشـــــرةُ الـــــمُكرِمِ

وقوله: (الكامل)

مـــــالي غـــــدوتُ كقـــــافِ رؤبـــــةَ قُيِّـــــدَتْ ... فـــــي الـــــدهرِ لـــــم يُقـــــدرْ لهـــــا إجراؤهـــــا[٦٥]

وقوله: (المتقارب)

أقمـــــتُ برغمـــــي ومـــــا طـــــائري ... بـــــراضٍ إذا ألفتـــــهُ الوكـــــونُ[٦٦]

فيـــــا ألـــــفَ اللفـــــظِ لا تأمُلـــــي ... حَراكـــــا فمـــــا لـــــكِ إلا الســـــكونُ

ونجدهُ في بعض الأحيان يُعلن عن تمرده وتذمره من حظِّـــه الذي قُـــدِّر له في هذه الحياة والمثير أن الشاعر غالبا ما تجده في عمومِ شعره مؤمناً قنوعاً بما أُتيَ من نصيب الدنيا زاهداً فيها ؛ ولكن الشاعر في أحيان أُخرى يخرج عمَّا أُلِفَ عنهُ من القناعةِ والرضى ، ويسأل عن الجُـــرم الذي اقترفهُ حتى يُلاقي كل هذا الألم فهو لم يرَ أحدا حتى فلماذا ولماذا ولماذا؟ ،فهناك كم هائل من الألم والحسرات والأسئلة المتمردة على سلطة العقل والمنطق اللذين غالبا ما يدعو إليهما ؛ وأرى أنّ هذين الأمرين اللذين يدعو إليهما في كثير من الأحيان قد قصرهما على أمورٍ دونَ أخرى ، منها الألم الذي يعتري قلبَهُ بسبب عماهُ ووحدته؛ فهو لا يخضع لهذه القوانين بل هو متمرد وغاضب وصارخ ! ، يقول:

(الطويل)

عجبـــتُ مـــن الصُّـــبحِ المنيـــرِ وضـــدهِ ... علـــى أهـــلِ هـــذي الأرضِ يَطلعـــانِ[٦٧]

وقـــد أخرجـــاني بالكراهـــةِ منهُمـــا ... كأنهما للضِّيـــــــــق مـــا وسعانـــي

وكيـــفَ أُرجِّـــي الخيـــرَ يصـــدرُ عنهُمـــا ... وقـــد أكلتنـــي فيـــهُما الضَّبُـــعانِ

أشـــاحا فقـــالا : ضَـــلّةً لـــيسَ عندنـــا ... مَحَـــلٌ وفـــي ضـــيقَ الثَّـــرى وضـــعاني

ولـــو شـــاءَ مـــن صـــاغَ النجـــومَ بلطفـــهِ لصـــــاغهُما كالمشـــــتري ودعـــــانِ
أيعكـــسُ هـــذا الخلـــقُ مالـــكُ أمـــرهِ لعـــلَّ الحِجـــا والحـــظَّ يجـتمـــــــعانِ

وقوله : (السريع)

ربِّ متـــى أرحـــلُ عـــن هـــذه الـــدْ دُنيـــا فـــإني أطلـــتُ المقـــام[٦٨]
فـــلا صـــديقي يترجّـــى يـــدي ولا عـــدوِّي يتخشّـــى انتقـــامْ
والعـــيشُ ســـقمٌ للفتـــى مُنْصِـــبٌ والمـــوتُ يـــأتي بشـــفاء السِّـــقامِ

وقوله : (المتقارب)

لقـــد علـــمّ اللهُ ربُّ الكمـــالِ بقلَّـــةِ علمـــي ودينـــي
وإنَّ التجَمَّـــلَ قـــد ضـــاقَ بـــي فكيـــفَ أُنـــافسُ أهـــلَ الجـــمالِ؟
أُريـــدُ الإناخـــة فـــي منـــزلٍ وقد حُدِيَتْ لسـواه جمِـــالي
لقـــد خـــابَ مـــن يبتغـــي نصـــرتي وعـــاجزةٌ عـــن يمينـــي شمالـــي
فمـــن مُخبـــري أغريـــقَ البحـــا رِ ألقـــى الـــردى أم دفـــينَ الرمـــالِ؟

فهناك ألم كبير في نفس الشاعر من جرَّاء هذه القسمة التي هي في نظره غير عادلة ، لذا جعل من الدرعيات مجاله الحيوي الذي يستطيع أن يفعل فيه ما يريد هو، فيذهب إلى حيث يشاء ويقاتل ويدافع ويواجه المحن بنفسٍ مطمئنة لثقته بدرعه ، وبنفس الوقت يقلل من وطْأة هذه الآفة .

وليس هذا وحسب بل إنه أراد من وصف هذا الدرع أن يحققَ حلمهُ في الأبصار وذلك من خلالك أنت أيها القارئ المبصر ! الذي يتخيل هذه الصور وتتراءى له أثناء قراءتهِ لها، فكأنك عندما تقرأ الدرعيات وما فيها من مشاهد القتال وتشبيه الدروع بالماء والضوء البرَّاق ، مجرد حدوث هذا الأمر فإنكما قد حققتما الاتصال الذهني(القارئ والشاعر) ؛ فالشاعر يكتفي بذلك لأنهُ أرضى شيئا من رغبته الملحة في الأبصار فقد حقق هذا الحلم من خلال اشتراكه معك في التخيل فأصبحتما لا تختلفان لأنك اقتنعت بهذا المشهد الصوري واقتناعك هذا جعلهُ هو الآخر يتيقن أنَّ ما يصفه هو حقيقة وأنه واقع وممكن ، فيكون بذلك سعى من خلال هذه القصائد إلى تحقيق العدالة وإنصاف نفسه ، وأنه أصبح لا يختلف عن الآخرين بل هو أفضل منهم! ومصداق قولنا في هذا التصور إفراطه في الصور البصرية فمن المستحيل أن تجد قصيدة تخلو منها ؛ بل إنه أكثر منها في القصيدة الواحدة إلى جانب الصور السمعية التي لها حضور قوي .

وهناك صور سمعية وبصرية كثيرة ، أما السمعية فوجودُها طبيعي لأنها تمثل حلقة الوصل بينهُ وبين العالم الخارجي ؛لأنه ضريرٌ! ، وأما البصرية فإكثاره منها لا تفسره إلا تلك الرغبة القوية والملحة في الأبصار . وربما تكون هذه القصائد وسيلة للهروب من هذا الجحيم الواقعي المؤلم والمزري ، فهذا الكم الهائل من الدماء التي غطت جبين بلاده وغيرها ، وهذا الجوع القاتل الذي جعل الأحياء تأكل الموتى !! ، وهذا الخداع والرياء والكذب ؛ كلها جعلت منه يبغض هذه الحياة ويهرب إلى تلك المرأة الجميلة والحصينة والقادرة على أن تحميه من شرور ابن آدم ألا ترى أنه تفنن في اختيار الأسماء لها فمرة يطلق عليها دِلاص[٧٠](البرّاقة اللينة والملساء) ومرة زغف[٧١](الدرع المحكمة وقيل الواسعة الطويلة) ومرة

السابغة[٧٢](وهي الواسعة التي تجرها على كعبيك طولا وسعة) حتى نيفت على العشرين أسما[٧٣] ، وهي تستحق ذلك فيما أرى فقد احتضنتهُ وأنصتت إلى نبضات قلبه يقول في الدرعية السابعة وهي على لسان رجل أسن وضعف عن لبس الدرع: (الطويل)

بنـــو الوقـــتِ إنَّ غـــروَّكَ مـــنهم بحكمـــةٍ فمـــا خلفهـــا إلا غرائـــزُ جُهـــــــــــــالِ[٧٤]

لـــذاك ســـجنتُ الـــنفسَ حتَّـــى أرحتُهَـــا مـــن الإنـــسِ مـــا أخـــلاهُ ربـــعٌ بـــإخلالِ

المبحث الثالث: صور الرمز في الدرعيات.

قبل الحديث عن صور الرمز هناك سؤال مطروح: لماذا أتجَّه أبو العلاء إلى الرمز؟ وهل يوجد رمز في هذه الدرعيات أو لا ؟ نقول: إنّ هناك دراسات أدبية معتبرة أشارت إلى وجود رمز في أشعار أبي العلاء ، وهذه الدراسات ذكرت أن اللزوميات تعج بالرمز فضلا عن الدرعيات؛ ولكن كانت تُركّزُ في هذا المعنى على اللزوميات أكثر منهُ على الدرعيات ؛ بسبب ما احتوته اللزوميات من أفكار فلسفية واجتماعية وسياسية عبرت بشكل كبير عن أبي العلاء ،والحياة في عصره، ولو أولوا الدرعيات بعض العناية لوجدوا أيضا فيها الشيء الكثير ؟ وسنعرض آراء هذه الدراسات بالتفصيل حتى نتوصل سويةً إلى الحقيقة التي نسعى من أجلها.

يرى الدكتور طه حسين أنّ قصائد الدرعيات تتسم بالغموض ، ويُرجع هذا الغموض إلى شيء في نفس الشاعر، وقد أشار في سياق الحديث عن اللزوميات إلى أنَّ أبا العلاء لم يرد أن يُظهر في اللزوميات، مقدرته اللغوية ،وبراعته في قرض الشعر، وإنما سلك هذا المنهج ليكون أدعى إلى إيثار الغريب والاستكثار منهُ، حتى تخفى أغراض الكتاب على كثير من الناس ،ولأنه لم يكن يرغب أن يظهروا عليها، ثم يُـعـقّـب الدكتور على كلامه هذا قائلا:(وهذا فيما نرى علَّة حبهِ للرمز والإيماء ...،فمما لا شك فيه أنَّ الرجل كان يودُّ لو عُمِيَ أمر كتابه، على ناسٍ من المتشددين في الدين حتى لا يتخذوه وسيلةً إلى إهدار دمه وإزهاق نفسه)[٧٥] ،ومنها على سبيل المثال هذا البيت الذي اتخذَ فيه من صورة الطير المقصوص الجناح رمزا إلى سجنيه(العمى ولزوم البيت) وفي الوقت نفسه يرمز إلى تذمرهِ من قدره : (الوافر)

فطِـــــر إن كنـــــتَ يومـــــا ذا جنـــــاحٍ فـــإنَّ قـــوادمَ البـــازي يُـــــــــــــهضنَه[٧٦]

وكـــم طيـــرٍ قُصصـــنَ لغيـــرِ ذنـــبٍ وألـــــزمنَ الســـــجونَ فمـــــا نهضـــــنه

وهناك آراء تخالف المألوف وتصطدم مع الواقع فتعلل ميله إلى الرمز ، كي يتجنب المضايقة من الآخرين وقد ذهبَ إلى مثل هذا المعنى صاحب كتاب (أبو العلاء المعري أم متاهات القول) ،إذ يرى أن المعري أكَّدَ في أكثر من مرَّة في لزوم ما لا يلزم أنّهُ يُخفي مما يعلم وأنَّ لديهِ سرًّا لا يود أو لا يستطيع إفشاءه، إذ يقول:

(الكامل)

ولـــديَّ ســـرٌ لـــيس يمكـــنُ ذكـــرهُ يخفـــى علـــى البـــــُّصراءِ وهـــو نهـــارُ[٧٧]

ويقول : (الطويل)

بنـــي زمنـــي هـــل تعلمـــون ســـرائرا علمـــتُ ولكنـــي بهـــا غيـــرُ بـــائحِ[٧٨]

(البسيط)

وأصـــمتُ فـــإنَّ كـــلام المـــرءِ يُهلِكُـــهُ وإن نطقـــتُ فإفصـــاحٌ وإيجـــازُ[٧٩]

ولكن فتنة الكلام أقوى عندَ أبي العلاء من فتنة الصمت ، ويعلن عن ذلك بشيءٍ من التحدي:

(الوافر)

فمـــالي لا أقـــولُ ولـــي لســـانٌ وقـــد نطـــق الزمـــانُ بـــلا لســـانِ[٨٠]

فقد كانتْ تُراوده نزعة الصمت ونزعة الكلام وحلّا لهذا الأمر التجأ إلى الكلام الخفي[٨١] (الرمز). إذن فما الذي يجعلنا نعتقد بعدم وجود الرمز في الدرعيات ولا سيّما أنهما أُلِّفا في فترة زمنية متقاربة والدليل على ذلك أنَّك لو قارنت بين الدرعيات واللزوميات لوجدتَ تشابها كبيراً في الأسلوب ولزوم ما لا يلزم وأيضا في مجال الوصف للدروع وأدوات الحرب يضاف إلى ذلك أننا حللنا بعضَ الرموز من خلال اللزوميات كما سيأتي علينا ؛ وهناك بعض الباحثين من أكّد وبشكل قاطع على وجود الرمز في الدرعيات ، مثل الأستاذ شلواي عمَّار في كتابه (درعيات شاعر الليل)[٨٢] ، والرسالة الموسومة بـ (بناء المعاني في درعيات المعري) ؛ فقد أشارت هذه الرسالة في مواضع كثيرة إلى هذا الأمر.

لقد تجلّى الرمز في درعيات المعري في صورة ذاتية معبرة عما يدور في داخله من مشاعرة وأحاسيس فصورة الرمز الـــذاتي تطغى على تلك الدرعيات بشكل لافت . ومن المعلوم أنَّ الذات من المصطلحات التي شاعت في الدراسات النقدية الحديثة وهي مرتبطة بعلوم الفلسفة والنفس ، والذات من المفاهيم المجردة الغامضة التي طالما حيَّرت العلماء ، وعلى العموم يمكن القول إنَّ الذات هي((رؤية الفرد لنفسه وصورتها عنده ،أو تقدير الفرد لقيمتهِ بوصفهِ شخصا ، والذات تمكنُّنا من معرفة إمكانات الفرد ومستوى طموحه))[٨٣] ،وبناء على ذلك يمكن القول : ((إنَّ النزوع توجّه المرء إلى نفسه وشأنهُ الخاص ، واتصاله بتجربته الذاتية ، وبوحهِ عن خلجاته ، والتفاته إلى معتركهِ الداخلي ، وولوجه أعماق ذاته .ولهذا الموضوع صلات متعدّدة بشتى أنواع المعرفة والفنون))[٨٤] .

وفي درعيات المعري نجد توجها واضحا نحو استعمال (الرمز الذاتي) ؛ فهو تعبير عن مكنونات النفس المعريَّة المتفلسفة وإن كان هذا الرمز نلمحهُ بطرق غير مباشرة ،بل يُمسُّ بخفاء وكأنهُ مُغلَّف بِحُجُب من الأُطر الفكرية والصور البلاغية ؛ ويتجسد هذا الأمر في توظيف الألفاظ والصور المختلفة من لدنّ الشاعر للتعبير عن ذاته .

ومن تلك الصور ما جاء في الدرعية الأولى: وهي على لسان رجل تركَ لبس الدرع لكبره:

(الوافر)

١- رأتنـــــي بـــــالمطيرةِ لا رأتنـــــي قريبـــا والمخيلـــةُ قـــد نـــــــأتني[٨٥]

٢- وأخلقـــــتُ الشـــــبابَ وكـــــانَ بُـــــرْدي وفارقـــــتُ الحســـــامَ وكـــــان حَتْنـــــي

٣- كـــــأنِّي لـــــم أردَّ الخيـــــلَ تـــــردى إذا استســـــقيتُها علقـــــا ســـــــــقتني

٤- أُلاقـــــي الـــــدارعينَ بغيـــــرِ درعٍ وأدعـــــو بالمـــــدجّجِ لا تَفُـــــتْنِي
٥- كـــأنَّ جيـــادهم أســـرابُ وحـــشٍ أُصَـــرِّعُهُنَّ مِـــن رُبْـــدٍ وأُتـــنِ
٦- ومـــا أُعجلـــتُ عـــن زردٍ حِـــذارًا ولكـــنَّ المفاضـــةَ أثقلتنـــي
٧- أكَلَّـــتْ منكبـــي سُـــمرُ العَـــوَالي وحِمـــلُ الســـابريِّ أكَـــلَّ مَتـــني
٨- وقـــد أغـــدو بهـــا قضّـــاءَ زَغفـــا وتَكفينـــي المهابـــةُ مـــا كفـــتني
٩- وتحتـــي الكـــرُّ إدماجـــا وفـــوقي نظيـــرُ الكَّـــرِ فـــي دِيـــمٍ وهَـــتْنِ
١٠- أعـــاذلَ طالمـــا أتلفـــتُ مـــالي ولكـــنَّ الحـــوادثَ أتلفـــتني

يقول :أبصرتني عن قرب في المطيرة- هو مكان خيالي ليس له وجود في الواقع - وليتها لم ترني فقد ذهبتْ عني خيلاء الشباب وأصبحت مسنا. ونلحظ وجود ضمير يعود على التأنيث في الفعل رأتني فهل يقصد بهذا الضمير امرأة مُعينة وإذا كانت كذلك فهل هي حقيقية أو متخيلة أو أنَّ هذا الضمير يعود على شيء آخر ؟ من خلال بحثنا في الدرعيات وجدنا الشاعر قد ذكر لنا أيضا ضمير يعود على التأنيث في الدرعية السادسة ولكنه لم يصرح بهويتها أو اسمها فيقول : (الخفيف)

أشـــعريها بـــديلَ كُرَّتِهـــا المســـ كَ إذا مـــا الـــدُّعاءُ صـــارَ كريـــرا[٨٦]
واصـــبحيها البـــانَ الـــذكيَّ فمـــا أر ضـــى لعِرضِـــي مـــن الســـليطِ ثَجيـــرا
هـــي حصـــني يـــومَ الهيـــاجِ فعدِّيـــ هـــا عـــنِ الآسِ واســـتعدِّي العبيـــرا

وقد جاء أيضا في الدرعية الثانية عشرة (وهي على لسان رجل نزل بامرأة فساومته درعه) ضمير يعود على التأنيث ولكنَّه لم يصرح باسمها يضاف إلى ذلك أن المكان أيضا لم يصرح به:

(الطويل)

نزلنـــا بهـــا فـــي القـــيظ وهـــي كروضـــةٍ ســـقتها عينـــانَ الشَّـــعريينِ عَنانَـــهْ[٨٧]
فلمـــا رأتْ ضـــمنَ الحقيبـــةِ جَونـــةً أبـــرّتْ علـــى طـــول الكَمِـــيَّ بنـــانهْ

ولكنه في الدرعية الثامنة (وهي على لسان رجل يخاطبُ امرأةً خانهُ أبوها في درع)يذكر لنا امرأة اسمها لميس :

(الخفيف)

يـــالميسُ ابنـــةُ المُضـــ لَّـــلِ مُنِّـــي بـــزادِ[٨٨]
لـــيسَ وادِيـــكِ فاعلمِـــي يـــهِ لقـــومي بـــوادِ

وفي الدرعية الحادية والعشرين ذكرَ لنا اسمين هما ؛سليمى وهند :

(الطويل)

أظـــنُّ سُـــليمى أنعـــمَ اللهُ بالَهـــا حدا حادِياهـــا للـــوميض جِـــمالها[٨٩]

ولـــو بعـــتُ درعـــي سُـــقتُ ياهنـــدُ للفتـــى هُنيـــــدة ألغـــــى الراعيـــــانِ إقالهـــــا

إذن لدينا ضمائر تأنيث لا نعرف إلى من ينسبها الشاعر ولدينا أسماء نساء لكننا لم نعرف من هنّ أيضا فلم يرد في الكتب التي تكلمت عنه حسب علمنا شخصية أحبها أو بغضها بهذا الاسم يضاف إلى ذلك أنَّ هناك أمكنة غير معروفة وردتْ في قصائده مثل (المطيرة) و((نزلنا بها في القيظ))، مما يدفعنا إلى الشك بأن هذه الأسماء والأماكن استعملها الشاعر من أجل أن يمهد بها إلى شيء آخر وهو وصف الدرع ؛ ذلك أنه في كل مكان من هذه القصائد التي ورد فيه ضمير تأنيث أو اسم امرأة أو مكانٍ ما يصحبها وصف الدرع ليس هذا فحسب ؛ بل إنه ينس بعد ذلك هذه الشخصية وكأنها غير موجودة ويستمر بوصفه مطلِقا العنان لمخيلته!.

فكأنّه أتخذَ من هذه الأمور إن صحَّ التعبير؛ مقدمة للدخول إلى غرض الوصف ، وهذا ليس ببعيد ولا غريب فمن يطلع على الشعر العباسي يجد هذا الأمر في كثير من قصائد الشعراء مثل دعبِل الخزاعي(ت٢٤٦هـ) في رائِيَتِهِ المشهورة :

(البسيط)

تأسَّـــــفتْ جـــــارتي لمَّـــــا رأتْ زَوري وعـــــــدَّتِ الشِّـــــــيبَ ذنبـــــــا

أجـــــارتي إنَّ شـــــيبَ الـــــرأسِ نفَّلنـــــي ذِكرَ الغوانـــــــــــــــــي وأرضاني من

لـــــو كُنـــــتُ أركـــــنُ للـــــدُّنيا وزينتِهـــــا إذن بكيتُ على الماضينَ مـــن نفـــــــــــرَي

أخنـــــى الزمـــــانُ علـــــى أهلـــــي فصـــــدَّعهم تَصـــدُّعَ الشـــعبِ لاقـــى صـــدمةَ الحـــــــــجرِ

لـــــولا تشـــــاغلُ نفســـــي بـــــالأُلى ســـــلفوا مـــــن أهـــــلِ بيـــــتِ رســـــولِ اللهِ لـــــم

كم من ذراعٍ لهـم بالطـــــــــــــــــفِ وعـــــارضٍ مـــــن صـــــعيدِ التُّـــــربِ مُنعَفِـــــرِ

يا أُمةَ الســـــــــــــــوءِ ما جازيتِ أحمدَ عـــن حُســـــنِ الـــــبلاءِ علـــــى التنزيـــــلِ والسُّـــــورِ

مـــــا ينفـــــعُ الـــــرجسَ مـــــن قـــــربِ الزكـــــيّ ومـــــا علـــــى الزكـــــيِّ بقـــــربِ الـــــرِّجسِ مـــــن ضـــــررِ

هيـــــــــــــــــــــــــــــهات كـــــلُّ لـــــه يـــــداهُ فخـــــذ مـــــا شـــــــــئتَ أو فـــــذَرِ؟

وهكذا نجد في هذه القصيدة أنَّ الشاعر قد تناسى أمر هذهِ المرأة وأمر شيبه بمجرد أن قال(لولا تشاغلي بالأُلى سلفوا...)؛فقد بدأ قصيدته بذكر الشيب وقرنه بذكر المرأة التي اتخذها وسيلة للتعبير عن الكِبَر من جهة ، والانتقال من خلالها إلى رثاء آل بيتِ رسول اللهِ(صلى اللهُ عليهم وسلم) ومن ثمَ الهجاء وأخيرا الجمع بينَ المدح والهجاء لشخصين مختلفين في بيتٍ واحد كما في البيتينِ الأخيرين .

وقد تحدث أبو فراس الحمداني(ت٣٥٧هـ) في إحدى قصائدهِ عن امرأة متعجبة من تدرعه ومدى استعداده للقتال والتزامه بهذه العدة، حتى وإن كان زائراً لمحبوبته ؛ ومن ثم ينتقل إلى الفخر بنفسه وقبيلته متناسيا ما كان بينه وبين هذه الغادة الجميلة قبل قليل :

(الطويل)

لعـــــلَّ خيـــــالَ العامريـــــةِ زائـــــرٌ فيُســـــــعِدَ مهجـــــــورٌ ويُســـــــعِدَ

وإنـــي علـــى طـــولِ الشَّـــماس عـــن الصِّـــبا أحـــــنُّ وتصـــــبيني إليـــــكِ الجـــــآذِرُ
وفـــــي كلَّتـــــي ذاكَ الخِبـــــاءِ خريـــــدةٌ لهـــا مـــن طعـــانِ الـــدارعينَ ســـتائرُ
تقـــــولُ إذا مـــــا جئتُهـــــا متـــــدرَّعا ((أزائـــرُ شـــوقٍ أنـــتَ ،أم أنـــتَ ثـــائرُ))!؟

****

ولـــي فيـــكِ مـــن فـــرطِ الصـــبابةِ آمـــرٌ ودونـــكِ مـــن حســـنِ الصـــيانةِ زاجـــرُ
عفافـــكَ غـــيٌّ إنمـــا عفـــةُ الفتـــى إذا عفَّ عن لذّاتهِ وهـــو قـــــــــــادرُ

إذن هذه المرأة التي ذكرها في الدرعيات وفي هذه الدرعية بالتحديد وظَّفها الشاعر كوسيلة لوصف كبره وما آل إليه من ضعف، وليسَ هذا وحسب ؛ بل أنَّ الشعراء غالبا عندما يذكروا الشيبَ وإعراض النساء عنهم لا يريدون بذلك أن يُشيروا إلى امرأة بعينها؛ وإنما رمزوا بهذهِ المرأة المعرضة عنهم؛ إلى الدُّنيا وملذاتها فأصبحتْ المرأة هنا معادل موضوعي لملذّاتِ الدنيا ومتاعِها ، فهل يا ترى أن هذه المرأة التي ذكرها أبو العلاء والتي لم يذكر إعراضها عنهُ كما فعل الآخرون؟ هي رمز إلى الدنيا، ولكن قد يعترض أحدهم على رأينا ويقول إنّه فقط ذكرها فلا حديث بينهما ولا إعراض من لدن هذه المرأة ، نقولُ : إنّ الشاعر ربما لحنكتهِ ومعرفتهِ بأساليب الشعر أرادَ أن يدفع عنهُ هذا الاتهام بعدم ذكر إعراض هذه المرأة وإنما جعلها تشاهد فحسب(رأتني بالمطيرةِ لا رأتني...) محاولا قدرَ الإمكان أن يبتعد عن هذه المرأة ؛ حتى لا يتبادر إلى ذهننا ما قلناه سابقا بشأن المعادل الموضوعي ألا وهو تعلقهِ بالدنيا! ، وإذا كان يرمز بالمرأة هنا إلى الدنيا سوفَ يترتب على ذلك حكم خطير؛ وهو أنَّ هذا الرجل متعلق بالدنيا، وإن لم نسمع عن سيرته ما يشير إلى لهو أو عبث! ؛ فتصور أنكَّ أبو العلاء المعري الذي سادَ ذكرهُ في البلاد والذي أصبح مثل الشمس ينيرُ دروبَ المتعلمين؛ بعلمه وفضله!، وأنَّك ذاكَ الرجل الذي شغلَ الدنيا بحكمتهِ وفلسفتهِ وإغرابه بالشعر وإيتاء المعجزات اللغوية ألا تستحق أن تعيش من أجل هذه الأمور وأن تخشى أن تخفت نارك؟ نعم تستحق كل شيء، وتستحقُ ذاك الألم. ولا نستبعد أنَّهُ رمزَ بهذهِ المرأة إلى الفشل الذي أصابهُ في بغداد فقد تحطمت كلُّ أماله وكلُّ أحلامه الجميلة بعد تلك الشهرة والجلوس إلى ذاك الحائط في مسجد المنصور وإلقاء المحاضرات على طلّاب بغداد والعلم الذين يمَّموا هذه المدينة لتحصيل العلم والشهرة وهذا ليس ببعيد بل إنَّ هذا الفشل هو السبب الرئيس في تكوين هذه الشخصية الاستثنائية والحياة الاستثنائية والشعر الاستثنائي في بيته.

٢- وأخلقـــــتُ الشـــــبابَ وكـــــانَ بـــــردي وفارقـــــتُ الحســـــامَ وكـــــان حتنـــــي

يقول: أتلفتُ الشباب الذي كان بمثابة البردة ،أي الذي كانَ يكسوني من العوز والحاجة والضعف. وإلى جانب فقده للشباب فراقه المؤلم لسيفه الذي كان يشبههُ بالقوة والصرامة! ، وإذا عرضنا للفظة السيف هذه فإنها تحمل معاني مختلفة كالقوة والجمال ووحدة الرأي والحكمة ،ويقترن السيف أيضا بالنزاعات والحروب وهو من لوازم الفارس. وقد شبَّه نفسه بالسيف (وكان حتني) ؛أي مثلي وهذا تشبيه بليغ كما نعلم فقد انطبقتْ عليه كل سمات السيف الذي شبَّهَ نفسه به!، وقد أشار إلى هذا الأمر في اللزومياتْ أيضا:

(الخفيف)

عيشـــــتي ســـــلَّتي ورمســـــي غمـــــدي فـــــأقربوني فيـــــه ولا تقربـــــوني[٩٢]

فجعل الشاعر من نفسه سيفا (سلَّتي) والحياة أرض المعركة والناس أعدائه المتدرعين بالرماح القوية والسيوف البتارة!! فكأنه عندما أصبح متقدما في السن ترك هذه الأمور لأنه لا طاقةَ به للقتال وحان الوقت في أن يذوب نهائيا في عزلته وظلمتهِ تاركا هذا العالم المتلاعن كله، وقال:

٣- كـــــأنّي لـــــم أردَّ الخيـــــلَ تـــــردى إذا استســـــــــقيتُها علقـــــــا ســـــــــقتني

ولما كانت حالته هذه من الضعفِ والوهن وذهابُ خيلاءِ الشّبابِ(والمخيلةُ قد نأتني)، بدأ الشاعر يأسا من حالهِ ويتعجب من أمره ((كأني لم أردَ الخيلَ تردى... !!)) ويتألم بشدة من ذهاب الشباب لأن الشاعر أحس أن الدنيا باستمرار تأخذ منه ولا تعطيه وتزيد من كربتهِ وهمهِ ولا تخفِّفُ عنهُ فقد أضافتْ ثقلا جديدا إلى ثقله وهو التقدم في العمر : (الطويل)

ظمئـــتُ إلـــى مـــاءِ الشـــبابِ ولـــم يـــزَل يغـــورُ علـــى طـــولِ المـــدى ويَغـــيضُ[٩٣]

تـــــراهُ مـــــع الإخـــــوانِ لا تســـــتطيعهُ حَبيـــبٌ متـــى يَبْعُـــدْ فأنـــتَ بَغِيـــــــــــــــضُ

وأيضا يقول : (الوافر)

لأمـــــواهِ الشـــــبيبةِ كيـــــفَ غِضْـــــنَهْ وروضـــــاتِ الصـــــبا كـــــاليبس إضْـــــنَهْ[٩٤]

وآمـــــــالُ النفـــــــوسِ مُعلَّـــــــلاتٌ ولكنَّ الحـــوادثَ يَعترِضـــــــــــــــــنَهْ

ونلحظ أنّهُ استحضر الحصانَ في النص(الخيلَ) وهذا الحيوان يحملُ عدَّة دلالاتْ ؛ منها القوة والجَّمال والفائدة وهو من لوازم الفارس ويرتبط بالحروب والصراعاتْ ؛ولكن هذا الحيوان وظّفهُ المعري في شعره لخدمة معاني مختلفة ؟ فمرَّةً يريدُ بهِ المصائب التي تُردي صاحبها :

(الخفيف)

وخيـــــولٌ مـــــن الحـــــوادثِ تَـــــرْدى والـــــرَّدى شـــــأنهُنَّ لا الرّديـــــانُ[٩٥]

ومرَّة أخرى يريدُ بها الملذات والشهوات التي تجمح بالإنسان فتغويه عن طريق الرشاد:

(البسيط)

قـــد رُضْـــتُ نفسِـــي حتَّـــى ذلَّ جامِحُهـــا فمـــا أُصـــاحبُ صَـــعْبَ الـــنفسِ مـــا رِيضـــا[٩٦]

****

وقوله : (الطويل)

فـــلا تمهـــر الـــدنيا المـــروءة إنَّهـــا تفـــارِقُ أهلِـــــــها فِـــراقَ لِعـــــــــانِ[٩٧]

ونرى أنه يرمز بالخيل هنا إلى هذه المعاني التي وردت في هذه الأبيات وكأنهُ يقول: فما أعجبَ حالتي كأنني لم أكن ذاك الرجل صاحب الإرادة الصلبة ، الذي صرع الحوادثِ والنوب بالصبر، ولا ذاك الشاب الذي كبحَ نزواته وشهواته بالإيمان .!!

وعلى هذا الأساس يكون لدينا هنا أيضا ضعف آخر، وهو معنويات الشاعر لأنه في البيت الثالث من هذه الدرعية رمزَ فيه إلى الضعف المعنوي ، وهذا الضعف المعنوي سببهُ الشك فيما أرى فقد أصبح الشاعر يشكُّ بالحياة كلها والطريقة التي عاش فيها !! وهذا يوحي أن الشاعر في هذه المرحلة من حياته أصبح يعيش في صراع داخلي مع نفسهِ أكثر من ذي قبل، وأنّ الشك قد اشتدَّ بهِ في هذه المرحلة من عمره :

٤- أُلاقـــي الـــدارعينَ مـــن غيـــرِ درعٍ وأدعـــو بالمـــدجّجِ لا تفتنـــي

يقول: أواجه الفرسان المتدرعين من غير أن ألبس درعا وأدعوهم إلى نزالٍ، إشارةً منهُ إلى شجاعتهِ. والدرع هنا تحملُ عدَّة معاني منها ؛الحصانة والمنعة والقوة ، وهي من لوازم الفارس وترتبطُ بالحروب والنزاعات وقد وظفها الشاعر في خدمة معاني مختلفة سواء في الدرعيات أم غيرها.

وقد تأتي في أحد الأبيات ويريدُ بها النفاق: (البسيط)

أمســـى النَّفـــاق دُرُوعـــا يُســـتجنُّ بهـــا مـــن الأذى ويقـــوِّي سَـــرْدها الحِلـــفُ[٩٨]

ونرى أنه يرمز بلفظة الدرع هنا إلى البصر فهو بمثابة الدرع الذي يقي صاحبه من العمى ، لأننا لو قلنا هنا انه يريد بها العزلة لأختلَّ المعنى ويناقض ما عرفناهُ من حياة الشاعر فكأنهُ يقول: ألاقي أعدائي المبصرين من غير أن أراهم وعلى الرغمِ من ذلك فإني أشجعُ منهم مع كوني لا أبصر .

وربما كما قلنا أعلاه يرمزُ بها إلى الحقيقة التي تدرَّعَ بها المعري والنفاق الذي تدرّعَ بهِ أعداؤه.

وفي الدرعية الثانية :صورة أخري للرمز الذاتي وقد جاءت على لسان رجل رهنَ درعهُ فدُفِعَ عنها فيقول :

(الطويل)

١- ســـرى حـــينَ شـــيطانُ الســـراحينِ راقـــدٌ عَـــديمُ قِـــرىً لـــم يكتحِـــلُ برقـــادِ[٩٩]

٢- فلمّـــا تعاشـــرنا ثلاثـــاً وأربعـــاً وأيقـــنَ مـــن

٣- رهنـــتُ قميصـــي عنـــدَهُ وهـــو فَضَـــلةٌ مـــن المـــزن يُعلـــى ماؤُهـــا برمـــادِ

٤- أتأكـــلُ درعـــي إن حســـبْت قَتيرهـــا وقـــد أجـــدبتَ قـــيسٌ عيـــون جـــرادِ

٥- أكُنـــتَ قطـــاةً مـــرةً فظننتهـــا جَنـــى الكَحْـــصِ مُلقـــى فـــي ســـرارةِ وادِ

٦- فليســـت بمَحْـــضٍ ترتغيـــه مبـــادرا ولا بغـــديرٍ تبتغيـــه صَـــوادى

٧- إذا طويـــتْ فالقعـــبُ يجمـــعُ شـــملها وإن نُثِلتْ سالتْ مسيـــلَ ثـــمادِ

٨- ومـــا هـــيَ إلا روضـــةٌ سَـــدِكٌ بهـــا ذُبـــابُ حُســـامٍ فـــي الســـوابغِ شـــادي

٩- علـــى أنهـــا أمُّ الـــوغَى وابنـــةُ اللَّظَـــى وأخـــتُ الظُّبـــا فـــي كـــلِّ يـــومِ جِـــلادِ

١٠- وإنَّ لـــدينا فـــي الكنـــائنِ صـــيغةً كرجـــلِ الـــدُّبا حـــبّ القلـــوبِ تُغـــادي

١١- ومشـــتهراتٍ أشـــبه الملـــحُ لونهـــا ولســـتُ بغيـــر الملـــحِ آكـــلُ زادي

١٢- فـــلا تمـــنعنْ حربـــا أهَـــامِن صـــلائهِ بشـــارق أســـيافٍ يُضـــئنَ حِـــدادِ

١٣- وســـمرٍ كشـــجعانِ الرمـــالِ صـــياحُها إذا لقيـــتْ جمعـــا صـــياحُ ضَـــفادي

١٤- وعـــزَّ علـــى قـــومي إذا كُنـــتُ حاســـرا رُكوبـــي إلـــى أعـــدائهم لِطـــرادِ

يقول: سرى في الليل أثناء رقاد الذئب((شيطان السراحين))،جائعٌ متعبٌ لم تكتحل عينه بالنوم ،ولم يُضيفهُ أحد((عديم قرى)) ،فلما شاهدتُ حالته هذه أنزلتهُ ضيفا عندي مدة الضيافة التي هي ثلاثة أيام بل ضعفها ،ولما تعاشرنا وأحسست أنه محلٌ للثقة رهنتُ درعي عنده (يقال هذا راهنٌ لك أي دائمٌ محبوسٌ عليك)[١٠٠] ؛ فما كان منه إلا الغدر والجحود وأكل هذه الدرع ظلما وبهتانا! وهذا الرجل الذي دفعه عن درعه جاء ذكره على شكل ضمير مضمر وضاهر في (سرى، لم يكتحل ، أيقن ،أتأكل، كنت، ظننتَها، ترتغيه، تبتغيه) ولم يخبرنا أبو العلاء بهويته ؛ وقد بحثنا عنه في بقية الدرعيات فلم نجد إشارةً تدلُّ على هوية هذا الشخص غير أننا وجدنا أن الشاعرَ قد ذكرهُ في الدرعيةِ الثامنةِ عشرة ولكن دون أن يصرح بهويتهِ أيضا :

(الطويل)

أعرتُـــك درعـــي ضـــامناً لـــي ردَّهـــا كصـــفوانَ لمـــا أن أعـــارَ محمـــدا[١٠١]

ويبدو أنه أرادَ أن يجعل من هذا الحدث(دفعه عن الدرع) وهذه الشخصية التي ربما لا وجودَ لها (متخيلة) وسيلة للانتقال إلى موضوع الوصف ،لأنه جعل من هذا الحدث بمثابة المقدمة إن صح التعبير؛ إذ انتقل بواسطته إلى التفنن في وصف الدرع ، فعندما نقرأ البيت الأول والثاني نجده يتحدث فيهما عن هذا الرجل الجائع وكيف أنزله ضيفا عنده وبسبب العشرة والمدة التي قضياها معا أحسن الظن بهِ ((وأيقن من صدري بحسن ودادِ)) .

والبيت الثالث فيما نرى ينقسم على قسمين؛ الأول وهو حدث (الرهن) ،والثاني هو تشبيه الدرع بالغدير الصافي(وهو فضلةٌ من المزنِ) ، وكذلك البيت الرابع ،فالقسم الأول منه هو حدث الأكل ((أتأكلُ درعي أن حسبتَ قتيرها)) ، والثاني تشبيه مسامير الدرع بعيون الجراد ((وقد أجدبتْ قيسٌ عيونَ جرادِ))[١٠٢] ، ومن ثم ينطلق بعدها في وصف الدرع ، فتجده في البيت السادس يشبه هذه الدرع باللبن وغدير الماء لبياضها ونقائها((فليست بمحضٍ ترتغيه...ولا بغديرٍ ..)) ، وفي السابع يشبه الدرع في لينها وصفائها بالماء الذي يُصبُ ((...وإن نُثِلَتْ سالتْ مسيلَ ثمادِ))،فكأن الذي يضعها عليه يصب ماءً لا أن يلبسَ درعا . فتشعر إن هَمّ الشاعر الوحيد من هذا الحدث هو أن يتدرج من خلاله إلى وصف الدرع ؛لأنك بمجرد مُضيَّك في قراءة هذه القصيدة تجد أن الشاعر ينسى أمر هذا الرجل وهذا الحدث . وهذا لا يقتصر على الدرعية الثانية فقط وإنما ينطبق على بقية الدرعيات التي تكون على شاكلتها كما في الدرعية الثامنة وهي على لسان رجل يخاطب امرأة خانهُ أبوها في درع:

(الخفيف)

يـــــــالميسَ ابنـــــــة المُضَـــــــ لَّـــــــلِ منـــــــيَّ بـــــــزادِ[١٠٣]

لـــــــيس واديـــــــكِ فاعلمـــــــ يـــــــهِ لقـــــــومي بِـــــــوادِ

إنْ تولّيـــــــتُ غاديـــــــا فبطـــــــيءٌ عـــــــوادى

خَـــــــــانَتني مَلْبســـــــــي أبُـــــــــو ... كِ فُحُلّـــــــــــــــي صِـــــــــــــفَادى
بـــــــــــــــدلاصٍ كأنّهـــــــــــــــا ... بعـــــــــضُ مـــــــــاء الثِّمـــــــــــــادِ
حُلّـــــــــــةُ الأيـــــــــــم خُيِّطـــــــــــتْ ... بِعُيـــــــــــــــــونِ الجـــــــــــــــرادِ
خلتهـــــــــــا والنبـــــــــــالُ تهـــــــــــــ ... وِى كرجـــــــــــــــل العـــــــــــــــرادِ

فقد بدأ يصف هذه الدرع من البيت الخامس الذي شبّه فيهِ الدرعَ بالماءِ ومن ثم استمرَ بإكمال ما بدأه في البيت الخامس . ونتيجةً لهذا الأمر، نرى أن في الدرعية الثانية سياقين؛ الأول يتحدث فيه الشاعر عن الغدر وذهاب الوفاء وأكل درعه ظلما وبهتانا ؟! ، وسياق آخر هو سياق التفنن في وصف الدرع !.

أما بخصوص السياق الأول فنحن نعده بمثابة المقدمة التي مهد بها إلى الوصف، وهذا السياق بحد ذاته هو رمز إلى عصره الذي شاعَ فيه الغدر وانعدام الثقة والخيانة !، فقد أشار إلى هذا الأمر في مواضع عدة سنذكرُ منها واحدا على سبيل المثال:

(البسيط)

أكـــــرم نزيلَـــــك واحـــــذر مـــــن غوائلـــــهِ ... فلـــــيسَ خِلُّـــــكَ عنـــــدَ الشـــــرِّ مأمونـــــا[١٠٤]
وغالـــــبْ الحـــــال فـــــي الجيـــــران أنهـــــمُ ... نُكـــــدٌ يلومـــــونَ جـــــارا أو يُلامونـــــا
تنـــــامُ أعـــــينُ قـــــومٍ عـــــن ذخـــــائرِهم ... والطـــــالبون أذاهـــــم مـــــا ينامـــــونا
احلُـــــل بمـــــن شـــــئتَ لا يُعـــــدِمك نائيـــــةً ... خـــــانَ اليمـــــانونَ طـــــرّا والشامونـــــا

وأما السياق الثاني من الدرعية الثانية فإنه كما قلنا قد خصصه الشاعر لوصف الدرع :

٧- إذا طويـــــتْ فالقعـــــبُ يجمـــــعُ شـــــملها ... وإن نُثِلتْ سالتْ مسيـــــــــــــــلَ ثـــــمادِ
٨- ومـــــا هـــــيَ إلا روضـــــةٌ سَـــــدِكٌ بهـــــا ... ذُبـــــابُ حُســـــامٍ فـــــي الســـــوابغِ شـــــادي
٩- علـــــى أنهـــــا أمُّ الـــــوغَى وابنـــــةُ اللَّظـــــى ... وأخـــــتُ الظُّبـــــا فـــــي كـــــلِّ يـــــومِ جِـــــلادِ
١٠- وإنَّ لـــــدينا فـــــي الكنـــــائنِ صـــــيغةً ... كرجـــــلِ الـــــدُّبا حـــــبّ القلـــــوبِ تُغـــــادي
١١- ومشـــــتهراتٍ أشـــــبه الملـــــحُ لونهـــــا ... ولســـــتُ بغيـــــر الملـــــحِ آكـــــُـــــلُ زادي
١٢- فـــــلا تمـــــنعنْ حربـــــا أهَـــــامن صـــــلائهِ ... بشـــــارق أســـــــــــيافٍ يُضـــــئنَ حِـــــدادِ
١٣- وســـــمرٍ كشـــــجعانِ الرمـــــالِ صـــــياحُها ... إذا لقيـــــتْ جمعـــــا صـــــــــــياحُ ضَـــــفادي
١٤- وعـــــزَّ علـــــى قـــــومي إذا كُنـــــتُ حاســـــرا ... رُكوبـــــــــــي إلـــــى أعـــــدائهم لِطـــــرادِ

فقد تفنَّنَ بوصف الدرع وهذا الفن كله يريد منه الشاعر أن يقنعنا بأنها جيدة ولا يمكن اختراقها فهي ((ابنة اللظى))! . وهنا يتبادر إلينا سؤال مهم في هذه الدرعية ؛ أين يوجد الرمز أفي لفظة الدرع التي وردت في القصيدة أم في غيرها أم في السياق الذي يصف فيه الدرع ؟ نقول: إن الرمز موجود في لفظة الدرع لأنها محور القصيدة وهذا ما يهمنا، وأنه رمز

بها إلى عزلته، كيف توصلنا إلى هذا المعنى ؟ الجواب : توصلنا إليه من خلال سياق حدث دفعه عن الدرع (السياق الأول) الذي رمز فيه إلى عصره ، كأنه قدمَ لنا في بادئ الأمر ما يبررَ لنا موقفه من الناس واعتزاله لهم من خلال هذا الحدث؟ فقد عرض علينا سلبياتهم وشرورهم، الأمر الذي جعلهُ يكسب تأييدنا ؛ فضلا على أن هذا التكرار بالوصف والمبالغة فيه! أراد أن يقنع نفسه أيضا ويكسب تأييدها ويجعلها واثقة به وتنقاد إليه وتدع التمرد جانبا ؟! لأنك تشعر عندما تطلع على مجمل شعره أن هناك صراع بين الشاعر ونفسه بشأن طريقة عيشه هذه!، وبينه وبين أعدائه الذين لا يكفوا عن محاولة اختراق درعه وإيذائه!، علاوة ذلك لم يذكر لنا في السياق الثاني من هذه القصيدة (سياق الوصف) حدث تأريخي ما شخصية ما ؛ لكي نأوِّل معاني مختلفة، وإنما أقرب شيء تبادرَ إلينا هو معنى العزلة .

يُضافُ إلى ذلك أننا وجدنا الشاعر يصف كلام الناس الجارح والغيبة بأنَّها رماحٌ وسهامٌ يقذفونهُ بها ، وبما أن سياق الوصف الموجود في الدرعية الثانية فيه رماح وسيوف فهذا الأمر يؤيد رأينا في وجود الرمز، يُضاف إلى ذلك أنهُ أشار في أحد المواضع من الدرعيات إلى أنَّ سجن النفس؛ هي الطريقة الفُضلى لتجنبِ شرورهم ! فيكون هذا الخيار(اعتزال الناس) بمثابة أجراء وقائي من هؤلاء الأعداء؛ إذ يقول في الدرعية السابعة وهي على لسان رجل أسن وضعفَ عن لبس الدرع:

(الطويل)

بنـــو الوقـــتِ إنَّ غـــروكَ مـــنهم بحكمـــةٍ فمـــا خلفُهـــا إلا غرائـــزُ جُهَّـــــــــالِ[١٠٥]

لـــذاكَ سَـــجَنْتُ الـــنفس حتَّـــى أَرْحتُهـــا مـــن الإنـــسِ مـــا أخـــلاهُ رَبْـــعٌ بـــإخلالِ

وفي اللزوميات : (الوافر)

أراهـــم يضـــحكون إلـــيَ غِشـــا وتغشـــاني المشـــاقصُ والحِظـــاءُ[١٠٦]

فلســـتُ لهـــم وإن قربـــوا أليفـــا كمـــا لـــم تـــأتلَفْ ذالٌ وظـــــــاءُ

إذ يقصد بـ((المشاقص)) الرماح الطوال[١٠٧] ،وبـ ((الحظاء)) النبال الصغيرة [١٠٨]

ونجد صوراً أخرى للرمز يمتزج فيها الذات مع الجانب الوعظي والحكمة الاجتماعية في درعياته ، وقد تجسدَ هذا الأمر في موضوع القصيدة الذي نحى فيه منحى وعظيا فلسفيا وهذا ما وجدناه في الدرعية الثالثةّ وهي على لسان درعٍ تخاطبُ سيفا: (الوافر)

١- ألـــم يُبلغْـــكَ فتكـــي بالمَوَاضـــي وسُخري بالأسـنةِ والزِّجـــــــاجِ[١٠٩]

٢- وأنَّـــي لا يُغيِّـــرُ لـــي قَتِيـــرا خضابٌ كالمُدامِ بِلاَ مِـــــــــــزاجِ

٣- منعـــتُ الشـــيبَ مـــن كَـــتمِ التَّراقـــي ولـــم أمنعـــهُ مـــن خِطْـــرِ العَجَـــــاجِ

٤- فهَـــل حُـــدِّثتَ بِالحِربـــاءِ يلقَـــى بـــرأسِ العَيْـــرِ مُوضِـــحةَ الشَّجـــــــاجِ

٥- يصـــيحُ ثعَالِـــبَ المُـــرَّانِ كرْبـــاً صـــياحِ الطَّيـــرِ تطـــربُ لابتهـــــــاجِ

٦- غـــديرٌ نقَّـــتْ الخرصـــانُ فيـــهِ نقيقَ علاجمٍ والليـلُ داجـــــــــــي

٧- أضَـــاةٌ لا يـــزالُ الزغـــفُ منهـــا كفـــيلا بالإضـــاءَةِ فـــي الدَّياجـــي
٨- حـــرامٌ أن يُـــراقَ نجيـــعُ قِـــرْنٍ يجـــوبُ النَّقـــعَ وهـــو إلـــىَّ لاجـــي
٩- يُقَضِّـــبُ عنـــه أمـــراسَ المنايـــا لِبـــاسٌ مثـــل أغـــراسِ النِّتـــاجِ
١٠- تعـــوَّذَ بـــي حليـــف التـــاجِ قَـــدْماً وفارسُ لـــم تَهُـــمَّ بعقـــدَ تـــاجِ
١١- شـــهدتُ الحـــربَ قبـــل ابنـــي بغِـــيضٍ وكنـــتُ زمـــان صـــحراء النبـــاجِ
١٢- فـــلا يُطعِمُـــكَ فـــي الغمـــراتِ وِردِى فـــإني ربَّـــةُ المُـــرِّ الأُجَـــاجِ
١٣- فـــإن تركُـــدْ بغِمـــدِكَ لا تَخَفنـــي وإن تَهجُـــم علـــيَّ فغيـــرُ ناجـــي
١٤- متـــى تُـــرمِ السُّـــلوكَ بـــي الرَّزايـــا تَجِـــد قضَّـــاء مُبهمَـــةَ الرِّتـــاجِ
١٥- يَـــرِدُّ حَـــديدَكَ الهنـــديَّ ســـردي رُفاتـــا كـــالحطيمِ مـــن الزُّجـــاجِ
١٦- تُنـــاجيني إذا اختلـــفَ العـــوالي أتـــدري ويـــبَ غَيـــرِكَ مـــن تُناجـــي
١٧- كـــأنَّ كعوبَهـــا مُتنـــاثراتٍ نَـــوَى قســـبٍ يُرَضَّـــخُ للنواجـــي
١٨- مُمَوَّهـــةٌ كـــأنَّ بِهـــا ارتعاشـــا لِفـــرطِ السِّـــنِّ أو داءَ اختـــلاجِ
١٩- تَضَـــيَّفُني الـــذُّوابِلُ مُكرهـــاتٍ فترحـــلُ مـــا أُذيقـــتْ مـــن لَمَـــاجِ
٢٠- تَفـــيءُ غـــروبُهُنَّ الـــزُّرقُ عَنِّـــي بِـــلا كـــربٍ يُعَـــدُّ ولا عِنـــاجِ
٢١- فلـــو كـــانَ المُثقّـــفُ جُملـــةُ اســـمٍ أبـــى التـــرخيمَ صـــارَ حُـــرُوفَ هَـــاجِ
٢٢- كـــنجمِ الـــرجمِ صُـــكَّ بـــهِ مَريـــدٌ فأبـــدعَ فـــي انجـــذامٍ وانـــعراجِ
٢٣- كبيـــتْ الشِّـــعرِ قطَّعـــهُ لِـــوزنٍ هَجـــينَ الطَّبـــعِ فهـــو بـــلا انتســـاجِ
٢٤- إذا مـــا السَّـــهمُ حَـــاولَ فـــيَّ نهجـــا فـــإنِّي عنـــهُ ضـــيَّقةُ الفِجـــاجِ
٢٥- وهـــل تعشـــو النِّبـــالُ إلـــى ضـــياءٍ ثَنَـــى السَّـــمراءَ مُطفـــأةَ السِّـــراجِ
٢٦- يَهُـــونُ علـــيَّ والحـــدثانُ طـــاغٍ أتـــنْذِرني الفـــوارسُ أم تُفاجـــي
٢٧- فلـــو طَعَـــنَ الفتـــى بأشـــدِّ غُصـــنٍ حنـــاهُ أشـــدُّ حِصْـــنٍ فـــي الهيـــاجِ
٢٨- أخـــالتني ظِمـــاءُ الخـــطِّ لُجَّـــا فألفـــتْ رُكـــنَ شَـــابةَ فـــي اللُجـــاجِ
٢٩- ولـــيسَ لكَـــرِّ يـــومَ الشَّـــرِّ نـــافٍ سِـــوى كـــرٍّ مـــن الأدراعِ ســـاجِ
٣٠- مـــنَ المـــاذيِّ كـــالآذيِّ أردى عوَاســـلَ غيـــرَ طَيِّبـــةِ المُـــجاجِ
٣١- وكـــانَ العـــارُ مِثـــلَ الحتـــفِ يـــأتي علـــى نـــأي المنـــازلِ والخِـــلاجِ
٣٢- كـــأنَّ بنـــي نُـــويرةَ أدركـــتهمُ مسبَّتهم بعبدِ أبـــي ســـواجِ

تخاطبُ الدرعُ السيفَ وتقولُ لهُ : ألم يُبلغكَ فتكي بالسيوف وتحطيمها للمواضي (السيوف) وسخري من الأسنةِ(نوع من السيوف وقد يُقال لشفار الرمح ؛ سنان) والزجاجِ (الرماح) وأن رؤوس مساميري التي تشبهُ الشيبَ في بياضها لا تخضبُّ بالدم الذي يُشبهُ الخمرة قبل أن تُمزج(المدام) ، وأني منعتُ شيبي الصقيلَ من التخضبِّ بالكتمِ (صبغ للشيبِ وهو أحمر) ؛ ولم أمنعهُ من خطرِ العجاج الذي يثور أثناء الاقتتال :يريدُ أنَّ هذه الدرع تحمي صاحبها من أن يسيلَ دمهُ من ترقوتهِ عليها فتصبحُ وهي الدرع البيضاء تشبهُ الشيبَ المخضّب بالكتمِ.

ومن ثمَّ تخاطبُ الدرع السيف قائلة له : إن كنتَ لم تُحدَّث بأنّ حربائي (مسمار الدرع) يشجُّ عيرا(الناتئ في وسطِ السيف) ، وتظنُ أنَّ ذلكَ غيرُ كائنٍ ، فإنَّ حربائي يشجُّ الأعيار ويحطِّمُ الأسنةِ والشفار ، فاحذر أن يشجَّ عيركَ حربائي ولا تتعرض لمصادمتي ولقائي [١١٠].

١٢- فـــلا يُطعِمُـــكَ فـــي الغمـــراتِ وِردِى فـــإني ربَّـــةُ المُـــرِّ الأُجَـــاجِ
١٣- فـــإن تركُـــدْ بِغِمـــدِكَ لا تَخَفنـــي وإن تَهجُـــم علـــيَّ فغيـــرُ ناجـــي
١٤- متـــى تُـــرِم السُّـــلوكَ بـــي الرَّزايـــا تَجِـــد قضَّـــاء مُبهمَـــةَ الرِّتـــاجِ

****

١٦- تُنـــاجيني إذا اختلـــفَ العـــوالي أتـــدري ويـــبَ غَيـــرِكَ مـــن تُناجـــي

هنا تخاطبُ السيف وتقول له: لا تطمع في وردي فإنني ربة المرِّ الأجاجِ:هنا شبه الدرع بغدير الماء الصافي فكأنّ السيفَ تردُ هذه الدرع لتستقي منها ؟ والأحرى لكَ أيُّها السيف أن تبقى في غمدك لأنك لو فعلتَ ذلك ستتجنب تكسيري لك وتأمن على نفسك ، وإذا فعلتَ العكسَ فلن تلقى إلا درعا صلبة ليس لك منها إلا التكسر والهلاك.

وفي البيت السادس عشر (تُناجيني إذا اختلفَ العوالي)؛كأن السيف يتوعد الدرعَ في القتال فتجيبهُ : ويحك أنت من تتوعد نفسك في إهلاكها، وهنا نلحظ أنّ هذا الخطاب تحذيري للسيف ، فقد جعلتْ الدرع منفذا واحداً للسيف للحيلولة دون هلاكه وهو الابتعاد عنها والتزام مكانه وقد مرّ علينا أن المعري شبَّه نفسه ؛ بالسيف ،وقبره؛ غمده ، فهل هذا يعني أن المعنى يكون: أنك لو لازمت قبرك لأمنت شروري ، ومن هذه التي يأمن شرورها؟ أهي الدنيا أم الموت أم العزلة ؟ وربما أراد الدنيا لأنك عندما تطّلع على هذه القصيدة يسري بك الشاعر إلى أمم بائدة وأناس أكل الدهر عليهم وشرب :

١٠- تعـــوَّذَ بـــي حليـــف التـــاجِ قَـــدْماً وفارسُ لم تَهُـــمَّ بعقـــدَ تـــاجِ
١١- شـــهدتُ الحـــربَ قبـــل ابنـــي بغِـــيضٍ وكنـــتُ زمـــان صـــحراء النبـــاجِ

هنا تخاطبُ الدرعَ السيفَ وتقولُ له : لقد لبسني الملوك قبل أن تقعد فارس التيجان على رؤوسِها، إشارةً منهُ إلى قدمها :يريد من الملوك نمرود بن كنعان الذي قيل عنه أنه أول من لبس التاج ، ومن ثم أنني شهدتُ الحربَ قبلَ ابني بغيض: وتقصد أنها شهدت الحروب قبل أيام داحس والغبراء التي وقعتْ بين عبس وذبيان (ابني بغيض) ، والتي استمرت

أربعين عام هلكَ فيها الحرث والنسل[١١١]، فأعطى لذلك بعدا آخر هو أن الدنيا أصبحت بمثابة الواعظ لهذا الشخص ؛ لأنها كبيرة في السن وشهدت نمو وهلاك أمم ونور وظلام وليل ونهار كل ذلك مرَّتْ بهِ، فربما يكون المعنى: أنت الذي يبتغي ملذاتي ألم يبلغكَ أخبار الماضين الذين هلكوا ؟ فعلام هذا الإصرار منكَ في طلبي وابتغائي! وأرى ؛ بل الأجدى لكَ أن تلزم مكانكَ (تريد بقولها: أن يقف عند هذا الحد وأن لا يتجاوزه في طلب ملذات الدنيا).

يضاف إلى ذلك استعماله للأفعال الماضية و (منعتُ ، تعَّوذَ ، شهدتُ ، كنتُ) ، للدلالة على أنها كانت موجودة في السابق وشاهدة على هذه الأمور التي وقعت فهي تتكلم عن معرفة وحكمة ، كما أنه استعمل بكثرة الأفعال المضارعة ؛(ألم يبلغْكَ ، لا يُغيَّرُ لي ، فلا يُطمعكَ ، إن تركد ، لا تخفى ، وإن تهجم ، تناجيني ، أتدري ، تناجي)، للدلالة على أنها موجودة الآن وفي المستقبل كما أن تركيزه على الفعل المضارع ؛ يفسره الخطاب الوعظي للدرع فكأنها تخاطبه وتعظه فلمّا شاهدت منه هذا الإلحاح في طلبها بدأت تنذره وتتوعده بالهلاك.

وبذلك يكون لدينا أمران السيف الذي رمزَ بهِ للإنسان عامة ولنفسهِ خاصة ، والدرع الذي رمزَ به إلى الدنيا ، وأن صمتَ السيف الذي لم نسمع له صوت إلا صوت التحطمِ والتكسر على طول القصيدة ؛ ربما أرادَ بهِ جهلَ هذا الإنسان فهو لا يعلم ما يقول أو ربما يدل صمتهُ على إصراره في تجاهله لنصحِ هذه الدرع فتجدهُ بعدَ ذلك في القصيدة ؛ مع الرماح يهجمون عليها فينالون نصيبهم من التكسير والتحطيم[١١٢] :

١٥- يَـــــرِدُّ حَـــــديدَكَ الهنـــــديَّ ســـــردي رُفاتـــــا كـــــالحطيمِ مـــــن الزُّجـــــــــــاجِ
١٦- تُنـــــاجيني إذا اختلـــــفَ العـــــوالي أتـــــدري ويـــــبَ غَيـــــرِكَ مـــــن تُناجـــــي
١٧- كـــــــأنَّ كعوبَهـــــــا مُتنـــــــاثراتٍ نَوَى قســـبٍ يُرَضَّـــخُ للنواجـــــــــــي

وتختم الدرع وعظها بحكمة مهمة ؛ وهي حسن عاقبة الإنسان وأن يحذر من الدنيا ؛ فإنها ربما بعد ما عُرِفتَ بهِ من شرفٍ وجاه قد يحول ذلك إلى عارٍ و خراب بسبب حمقك وجهلك:

٣١- وكـــانَ العـــارُ مِثـــلَ الحتـــفِ يـــأتي علـــى نـــأي المنـــازلِ والخِـــلاجِ
٣٢- كـــأنَّ بنـــي نُـــويرةَ أدركـــتهمُ مسبَّتهم بعبدِ أبي ســـــــــــــــواجِ

فالإنسان الشريف الماجد قد يُلحق به العارُ ، إنسان ضعيف تافه مثلَ عبدِ أبي سواجٍ هذا[١١٣]. وهنا أفاد المعري من التراث العربي القديم في هذه الصورة الرمزية الموحية .

وهناك أدلَّة كثيرة تقوي رأينا في أنه يرمز بالدرع إلى الدنيا ؛ذلك أنه أعطى لهذه الدرع ما يوحي بالحياة بل أن الحياة تتوقف عليه وهو الماء فتجدهُ دائما يشبه الدرع بالماء الذي فيه حياة هذا العالم كله كما يُضيف إلى هذا الماء عنصر الضوء والظلام[١١٤] :

٦- غـــــديرٌ نقَّـــــتْ الخرصـــــانُ فيـــــهِ نقيقَ علاجمٍ والليلُ داجـــــــــــــــــي

٧- أضَـــــاةٌ لا يـــــزالُ الزغـــــفُ منهـــــا كفـــيلا بالإضـــاءَةِ فـــي الدَّياجـــــــــــي

****

١٨- مُمَوَّهـــــةٌ كـــــأنَّ بِهـــــا ارتعاشـــــا لِفـــرطِ السِّـــنِّ أو داءَ اختـــــــــــــلاجِ

****

٢٠- تَفـــــيءُ غـــــروبُهُنَّ الـــــزُّرقُ عَنِّـــــي بِـــــلا كـــــربٍ يُعَـــدُّ ولا عِنـــــــــــاجِ

****

٢٢- كـــــنجمِ الـــــرجمِ صُـــــكَّ بـــــهِ مَريـــــدٌ فأبـــــدعَ فـــــي انجـــــذامٍ وانـــــــــــعراجِ

فهو يركز بشكل جلي على تشبيه الدرع بالماء ((غديرٌ ، أضاةٌ ، مموهةٌ(أرادَ أنها لصفائها تخيَّل إلى الناظر أنها تتموج كما يتموج الماء أو السراب ، تفيء غروبهنَّ(شبه الدرع ببئر الماء والرماح بالغروب وهو الحبل الذي يربط بالسطل (العناج) ليُستقى بهِ من البئر))[١١٥].

واهتم المعري أيضا بعنصر الضوء والظلام ((الليلُ داجٍ[شديدُ الظلام] ــ الإضاءة في الدياجي[اجتماع الضوء والظلام] ــ نجم الرجم[وهو على هيئة ضوء مستقيم في السماء يظهر ويختفي بلمحِ البصر] ــ))[١١٦].

وربما يرمز بهذه الدرع للموت ، والسيف الصامت الذي لا يتكلم؛ نفسه ، على اعتبار أنه ذكر أفعالاً ماضية جاءت على سبيل التذكير والعظة من خلال سردها له أحداثاً وقعت في الماضي وقد هلكَ أصحابُها ، فقولها له: تعوَّذَ بي حليف التاجِ قدما أي أنني لُبستُ قبل أن تلبس الفرس التاج وهو لا يقصد هذا الأمر وإنما يقصد قوما نمرود فهو أول من لبس التاج ، وهؤلاء هلكوا . وذكرها لحرب داحس والغبراء ؛ أيضا تقصد أنها خاضت حرب قبل حربهم وهؤلاء أيضا هلكوا بسبب الحروب الطاحنة التي استمرت أربعين عاما . إذن الموت موجود منذ الأزل والآن وهذا احتمال كبير في أن يرمز بهذه الدرع إلى الموت فهو الدرع الذي يحول دون وصول الإنسان إلى الخلود فهو ينذر المرء بالشيب فقد وردتْ هذه اللفظة للتذكير ؛ بالنسبةِ للسيف ،وأخبارهُ بأنها لا تهرم (وهذه الصفة تشتركُ بها الدنيا والموت الذينِ لايهرمان) . وأنه أراد على أن يؤكد أن الموت الآن يحيط به من خلال تكراره الكثير للأفعال المضارعة؛ فكأنّ الشاعر يمر بمرحلة مضطربة نفسيا ، أي أنّ هناك تصورا كبيرا بأن تكون هذه الدرع الدنيا أو الموت فهما لا يهرمان ولا ينقص من أعمارهما شيئا وهو غالباً – الشاعر– ما يصور هذه الدرع بأنها قوية لا تهرم ، وينبؤنا على مدى قدمها إشارة منه إلى قوتها ومدى محافظتها على حالتها الطبيعية ، يقول في الدرعية الحادية والثلاثين وهي على لسان رجل يُخاطبُ درعا :

(البسيط)

أُعطيـــتِ عُمـــرا وكـــم أفنيـــتِ مـــن مـــلأٍ وإن صـــمتِّ فكـــم خبَّـــرتِ مـــن نبـــأِ[١١٧]

وأما أن يقصد بالدرع العزلة فهذا أمرٌ بعيد فيما نرى ، وأرى أن المعنى الأول هو الأقرب إلى السياق ، فمعنى الدنيا أشملُ من الموت.

نتائج البحث:

١- **وجدنا في درعيات أبي العلاء رمزاً مركباً يلتقي في بعض جوانبهِ مع مفهومنا الحديث للرمز مثل** الدرعية الأولى والثانية والثالثة .

٢- **إن الرمز في قصائد الدرعيات متطور ذلك أنها أحتوت على أهم خصيصة في المذهب الرمزي وهي أن اللفظة الواحدة تكون لها العديد من المعاني متعددة ، وتختلف من حيث فهمها من متلقي إلى آخر، كما أنها احتوت على كثيرٍ من الغموض والإيهام من خلال كثرة استعماله للجناس.**

٣- **رمّزَ الشاعرُ بواسطة الألفاظ والصور الشعرية إلى أمور مختلفة كالعزلة والحياة والموت .**

٤- **أكثرَ من ذكر الصور البصرية لتلبية رغبته الملحة بالأبصار الذي حققهُ عن طريق المتلقي المبصر.**

٥- **أكثرَ من الصور السمعية لأنها تُعد بمثابة حلقة وصل بين الشاعر والعالم الخارجي.**

٦- **وردَ في قصائده رمز ذاتي عبَّرَ من خلاله عن أفكاره ومعانته كما في الدرعيتينِ الأولى والثانية.**

٧- **وردَ في قصائده رمز موضوعي يدور حول طبيعة الحياة وفلسفة العيش والموت كما في الدرعية الثالثة.**

٨- **القصائد التي تناولناها في الدراسة توحي بانَّ الشاعر يعيش في صراع داخلي مع نفسه .**

هناك جو من القوَّة والإصرار يخيم على جوِّ القصيدة ؛ تمثلَّ بالدرع المصرّة على الدفاع والتحطيم ، والسيوف والرماح المصرة على اختراق هذه الدرع ؛ رامزا في ذلك إلى طبيعة الحياة التي نعيُشها فنحنُ في صراع أزلي معها نعيشه إلى هذه اللحظة .

الهوامش

(١) معجم العين ،أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي :٣٦٦/٧ باب الزاي والراء والميم.
(٢) تهذيب اللغة ، أبو منصور الأزهري : ٢٠٥/١٣مادة (رمز).
(٣) الصحاح ، الجوهري :٨٨٠/٢ مادة (رمز) .
(٤) المحكم والمحيط الأعظم ، ابن سيده : ٤٣/٤ مقلوب مادة (م ز ر).
(٥) لسان العرب ،ابن منظور: ١٧٢٧/٣ مادة (رمز) .
(٦) ينظر: الترميز في الفن القصصي العراقي الحديث(١٩٦٠-١٩٨٠) دراسة نقدية، صالح هويدي:١٠ وما بعدها .
(٧) الرمزية في الأدب العربي ، درويش الجندي :٤٣.
(٨) البيان والتَّبيين، الجاحظ :٧٧/١-٧٨ .
(٩) ينظر: الرمزية في الأدب العربي ، درويش الجندي:٤٥.
(١٠) نقد الشعر، قدامة بن جعفر:١٥٤.
(١١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ،لابن رشيق :٣٠٢/١.
(١٢) ينظر:الرمزية في الأدب العربي، درويش الجندي :٤٧.
(١٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق:٣٠٧/١.
(١٤) ينظردلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني :١٩٩.

(١٥) ينظر: الرمز في الشعر العربي ، جلال عبد الله خلف :٥.
(١٦) ينظر:جمالية الرمز في الشعر الصوفي، هدّي فاطمة الزهراء :٦.
(١٧) الرسالة القشيرية في علم التصوف ،أبو القاسم عبد الكريم القشيري النيسابوري:٥٣.
(١٨) ينظر:جمالية الرمز في الشعر الصوفي:٦٥وما بعدها.
(١٩) الترميز في الفن العراقي الحديث،صالح هويدي:٢٧.
(٢٠) يُنظر:تاريخ الشعر العربي ،نجيب البهيتي:٧٢.
(٢١) يُنظر:المذاهب الأدبية ، جميل نصيف التكريتي :٣٠٩.
(٢٢) ينظر : المصدر نفسه:٤٨٩. وينظر : العملية التواصلية الشكلية واللسانية في فنون ما بعد الحداثة ، ماهر نافع كامل الناصري : ٢٧٩، مجلة القادسية للعلوم الانسانية ، المجلد (٢٢) العدد (٤) السنة ٢٠١٩ .
(٢٣) الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني، أمية حمدان:٢٣.
(٢٤) الرمزية في الادب العربي ، درويش الجندي:٧٠.
(٢٥) مذاهب الأدب الغربي ومظاهرها في الأدب العربي الحديث ، سالم أحمد الحمداني:٢٢٥.
(٢٦) الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني، أمية حمدان:٢٤.
(٢٧) المصدر نفسه :٢٥-٢٦. وينظر : الثنائيات الضدية في شعر صفاء الحيدري ، د وسام محمد منشد الهلالي : ١٢٧، مجلة القادسية للعلوم الانسانية ، المجلد (٢٢) العدد (٣) السنة ٢٠١٩ .
(٢٨) ينظر:معجم الأدباء ، ياقوت الحموي:٢٩٥/١، الإنصاف والتحري،لابن العديم :٥١٤، ووفيات الأعيان ، ابن خلكان:١١٣/١.
(٢٩) ينظر:وفيات الأعيان ، ابن خلكان :١١٣/١وما بعدها.
(٣٠) يُنظر:المصدر نفسه:١١٦/1.
(٣١) يُنظر:معجم الأدباء:٢٩٥/١، وفيات الأعيان :١١٤/١.
(٣٢) يُنظر:الإنصاف والتحري ، ابن العديم :٥١٦ .
(٣٣) ينظر: معجم الأدباء : ٢٩٦/١ ،الإنصاف والتحري:٥١٦، مع أبي العلاء في سجنه ،طه حسين :٨٤ ، أبو العلاء المعري، بنت الشاطئ :٦٦وما بعدها، درعيات شاعر الليل، شلواي عمار:١٠.
(٣٤) وينظر: أبوالعلاءالمعري،بنت الشاطئ:٨١وما بعدها، حكيم المعرة ،عمرفروخ :٢٨، ودراسات في تاريخ الفلسفة العربية،كامل حمود:١٤٨.
(٣٥) الدرعيات : القسم الثاني/ القصيدة ١٧: ٥٥٣.
(٣٦) المصدر نفسه : القصيدة السادسة : ٢٨١.
(٣٧) شرح اللزوميات:٣١/٣.
(٣٨) المصدر نفسه: ١٩٠/٣.
(٣٩) المصدر نفسه:٤٧٩/٢.
(٤٠) شروح سقط الزند: 1195-١٢٠٧. ويقصد بغيلان الشاعر الأموي المعروف بذي الرمة الذي قصد العراق مادحاً قاضي الكوفة بلال بن أبي بردة طالباً العطاء. والعواصم من أرض الشام مما يلي حلب.
(٤١) ينظر: حكيم المعرة، عمر فروخ: ٢٨ ، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية،كامل حمود:١٤٨.
(٤٢) ينظر: دراسات في تاريخ الفلسفة العربية، كامل حمود:١٥٠.
(٤٣) شروح سقط الزند:٢٠٠١.
(٤٤) ينظر: حكيم المعرة ،عمر فروخ:٢٨.
(٤٥) يُنظر: المرشد على فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب المجدوب:١٨٧/٢ وما بعدها.
(٤٦) شروح سقط الزند:٢٠٠١.
(٤٧) مع أبي العلاء المعري في رحلة حياته، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ:٤٢.
(٤٨) ينظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبي الحسن المسعودي :٧٣/٢ وما بعدها.
(٤٩) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة:١٩/١.
(٥٠) ينظر: عصر الدول والأمارات ،شوقي ضيف:٣٥٤.
(٥١) شرح اللزوميات :٦٦/١.
(٥٢) المصدر نفسه: ٢٦٤/٢.
(٥٣) ينظر :الكامل في التاريخ ،ابن الأثير:٣٢٧/٧- ٣٣٨-٣٥٢، ٧٩/٨ وما بعدها.
(٥٤) شرح اللزوميات،٣٩٨/٢.
(٥٥) دراسات في تاريخ الفلسفة العربية ، كامل حمود:١٤٤ وما بعدها.
(٥٦) لسان العرب ،ابن من منظور: ١٣٦٢، مادة [درع].
(٥٧) يُنظر:درعيات المعري، رجاء طاهر:٦.
(٥٨) سورة سبأ / آية ١٠ - ١١.

(٥٩) سورة الأنبياء/آية ٨٠.
(٦٠) ينظر: تجديد ذكرى أبي العلاء،طه حسن،:١٨٢ ، درعيات المعري ،رجاء طاهر،:١٦ وما بعدها.
(٦١) ينظر:الجامع في أخبار أبي العلاء المعري، سليم الجندي،٧٦٦/٢ .
(٦٢) حكيم المعرة ، عمر فروخ، :٤٩.
(٦٣) يُنظر:تجديد ذكرى أبي العلاء،:١٨٢.
(٦٤) يقول :يا إلهي أتعجبُ من نفسي حيثُ أراها بحالةٍ لا أرضاها ؛قد بقيتُ في زاويةِ البيتِ لا أزور ولا أُزار كالميت ،الحِلس :يقال فلان حِلسَ بيته ،إذا كان مُلازما لهُ لا يخرج منه ؛ ينظر: شروح سقط الزند :١٧٧٠-١٧٧١.
(٦٥) قاف رؤبة وهي الأرجوزة التي أولها: (وقاتم الأعماقِ خاوي المُخترق) ،يمدح بها أبا مسلم القائم بدولة بني العباس ، والمقيد هو الساكن الروي ؛ ينظر: شرح اللزوميات :٦٥/١.
(٦٦) أقمتُ برغمي : يعني أنّ الدهرَ أقعدهُ عن النهوض غلى ما كانَ يبتغيه وحالَ بينه وبين ما كانَ يأملهُ ويرتجيه فصارَ كالطائر الذي أُلِفَ وكنه اضطرارا لا رضا منهُ ولا اختيارا ، فيا أُلِفَ اللفظِ :فكأنهُ هنا يخاطبُ نفسهُ التي كنّى عنها بألف اللفظِ ويقول لها أرضي بما قُسِمَ لكِ واقصري عن كل مطلب فإنما أنتِ كالألف التي طُبعتْ على السكونِ ؛ينظر:اللزوميات:٢٢٣/٣.
(٦٧) شرح اللزوميات : ٣ /٢٦٧.
(٦٨) المصدر نفسه : ١٩٠/٣.
(٦٩) المصدر نفسه: ٤٩/٣.
(٧٠) لسان العرب : ٢/ ١٤٠٩مادة[دَلصَ].
(٧١) المصدر نفسه : ١٨٣٩/٣مادة[زغفَ].
(٧٢) المصدر نفسه: ١٩٢٧/٣مادة[سبغَ].
(٧٣) ينظر: درعيات أبي العلاء المعري، رجاء طاهر عبيدان:٦ وما بعدها.
(٧٤) شروح سقط الزند :١٨٤٠.
(٧٥) تجديد ذكرى أبي العلاء:١٨٤ وما بعدها.
(٧٦) ينظر : شرح اللزوميات:٢٣٨/٣.
(٧٧) المصدر نفسه: ١١١/٢.
(٧٨) المصدر نفسه :٣٦٣/١.
(٧٩) المصدر نفسه،:٢٩١/٢.
(٨٠) المصدر نفسه:٢٨٨/٣.
(٨١) ينظر:أبو العلاء المعري أم متاهات القول، عبد الفتاح كيليطوا:٤٧وما بعدها.
(٨٢) درعيات شاعر الليل:٢٥.
(٨٣) سيكولوجيا المتفوقين عقليا ، أديب الخالدي:١٨٥.
(٨٤) النزوع الذاتي في شعر القرن الرّابع الهجري، د. ستّار عبد اللهِ جاسم :٨ .
(٨٥) شروح سقط الزند:١٧٠٧- ١٧١١.
(٨٦) المصدر نفسه :١٧٩٠- ١٧٩٢.
(٨٧) المصدر نفسه:١٨٧١- ١٧٨٢.
(٨٨) المصدر نفسه:١٨٤٢- ١٨٤٣.
(٨٩) المصدر نفسه :١٩٢٥- ١٩٢٧.
(٩٠) شعر دعبل بن علي الخزاعي : ١٤٢- 146.
(٩١) ديوان أبي فراس الحمداني:١٢٤- ١٢٦.
(٩٢) شرح اللزوميات:٢٩٧/٣.
(٩٣) المصدر نفسه:٣٢٩/٣.
(٩٤) المصدر نفسه:٢٣٦/٣.
(٩٥) المصدر نفسه:٢٢٢/٣.
(٩٦) المصدر نفسه:٣٣٠/٣.
(٩٧) المصدر نفسه:٢٦٦/٣.
(٩٨) المصدر نفسه:391/٣.
(٩٩) شروح سقط الزند:١٧١٢ وما بعدها.
(١٠٠) لسان العرب: ٣/ ١٧٥٨مادة[رهنَ].
(١٠١) شروح سقط الزند:١٩١٦.
(١٠٢) هنا يُخاطب المرتهن بعدَما دفعهُ عن الدرع فيقول:لعلّكَ حسبتَ ما رهنتُ من الدرع وقد أصابكَ شظفُ العيش وجدوبة الزمان ؛عيونَ الجّراد فأكلتها كما يأكل القيسيون عيونَ الجراد ،يُنظر :شروح السقط:١٧١٤.

(١٠٣) المصدر نفسه:١٨٤٢.
(١٠٤) شرح اللزوميات :٢٣١/٣.
(١٠٥) شروح سقط الزند:١٨٤٠.
(١٠٦) شرح اللزوميات:٦٤/١.
(١٠٧) لسان العرب : ٢٢٢٩/٤ مادة (شقص).
(١٠٨) المصدر نفسه : 921/2 .مادة (حظا)
(١٠٩) شروح سقط الزند :١٧٢٠.
(١١٠) ينظر : المصدر نفسه :١٧٢٠-١٧٢٣.
(١١١) ينظر: المصدر نفسه :١٧٢٨- ١٧٣١.
(١١٢) كعوبها: عُقد الرماح ، نوى قسبٍ:نوى التمر الرديء الذي يُعلف للإبل (النواجي)،فشبه صوت اندقاق الرمح وتحطمه بنوى دقَّ لتعلفه الإبل، وذكرَ القسب إشارةً إلى صلابة هذه الرماح ، وأن صلابتها لا تمنعها من الاندقاق.
(١١٣) ـ يقال: إن هناك رجل من بني نويرة كان قد طابت له زوجة أبي سواج فأراد بعرضه السوء ، وما كان من زوجتهِ إلا أن أخبرته بنوايا هذا الرجل ، فأمرَ أبو سواج عبدينِ له بأن يتراوحا النكاح مع أمةٍ له وأن يضعوا المني في قعب وهددهم بأنهم لو أسقطوا قطرةً من هذا المني خارج القعب لقتلهما فكانَ لهُ ما يريد ، ثم جاء بعدَ ذلك إلى زوجته وقال لها أسكبي على هذا المني اللبن وعندما يأتيكِ هذا الرجل ليتوددَ لكِ في غيابي أسقيه هذا اللبن وإن لم تفعلي لقتلتك ،فلما جاء هذا الرجل النويري أختبأ أبو سواج ليشاهد سقيه المني الممزوج باللبن ، ولما أقنعته بأن يشرب اللبن قال لها: مالي أرى لبنكم لزج وشرب ثم كرر السؤال وشرب حتى أتى على أخره ،فكانت هذه الشربة سببا في موته ، فلما مات جاء إلى بني نويرة وأخبرهم بأن صاحبهم قتيل المني ثم هربَ منهم. لذا يقول الأخطل هاجيا جريرا الذي عيَّرهُ بشرب الخمر:

تعيبُ الخمرَ وهيَ شرابُ كسرى ... ويشربُ قومُكَ العَجبَ العجيبا
منيُّ العبدِ عبدِ أبي سواجٍ ... أحقُّ من المدامةِ أن

(١١٤) أضاةٌ: غدير الماء ؛يعني أنّها لصفائها تُضيءُ الدياجي وهي الليالي ، يُنظرُ:شروح السقط:١٧٢٥.
(١١٥) ينظر : شروح سقط الزند:١٧٢٤- ١٧٢٥. و ١٧٣٣-١٧٤١.
(١١٦) ينظر: المصدر نفسه :١٧٢٤-١٧٢٥. و ١٧٣٣- ١٧٤١.
(١١٧) المصدر نفسه :٢٠١٣.

References

1- Abu Al-Ala Al-Maari, Ahmed Taymur Pasha, Arabic Words for Translation and Publishing, Cairo, Egypt, 2012 AD.

2- Abu Al-Ala Al-Maari or the Mazes of Saying, Abdel-Fattah Kleetio, Toubkal Publishing House, Casablanca, Morocco, 2000 AD.

3- Abu Al-Ala Al-Maari, Aisha Abdul Rahman Bint Al-Shati, The Egyptian General Corporation, 1965.

4- Equity and investigation in pushing the injustice and conducting on the authority of Abu Al-Ala Al-Maari, Ibn Al-Adim (d. 660 AH), printed in the book Introducing the Ancients to Abu Al-Ala, Dr. Taha Hussein, Mustafa Al-Saqa, Abdel-Rahim Mahmoud, Abdul-Salam Haroun, Ibrahim Al-Abyari, Hamed Abdul-Majeed, Al-Dar National Printing and Publishing, Cairo, 1965.

5- Building meanings in Derayat Abi Al-Al-Ma'ari (Analytical Rhetorical Study), Haneen Shaker Salih, MA, submitted to the College of Arts, Umm Al-Qura University, Kingdom of Saudi Arabia, 2013 AD.

6- Statement and identification, Abu Othman Omar bin Bahr Al-Jahiz (d. 255 AH), investigation and explanation: Abd al-Salam Muhammad Harun, Dar Al-Jeel Press, Beirut, Lebanon, d.

7- The History of Arabic Poetry Until the End of the Third Hijri Century, Naguib Muhammad al-Bahbiti, Egyptian Dar al-Kutub Press, Cairo, 1950 CE.

8- Renewing the memory of Abi Al-Ala, Dr. Taha Hussein, Dar Al-Maarif edition, Egypt, 6th edition, 1963.

9- Coding in Al-Bayati Poetry, Dr. Hassan Al-Khaqani, a thesis submitted to the Faculty of Arts / University of Kufa, 2006 AD.

10- Coding in Modern Iraqi Fictional Art, Huwaidi Salih, Baghdad - House of Affairs and Cultural Affairs, 1989.

11- Refining the language, Abu Mansour Al-Azhary (d. 370 AH), investigation: Abdel Salam Mohamed Haroun, Egyptian House of Authorship and Translation d.

12- Aestheticism of the Symbol in Sufi Poetry, Hadiya Fatima Al-Zahraa, MA thesis submitted to the Faculty of Arts, Abu Bakr Belkaid University, Tlemcen, Algeria, 2006 AD.

13- Islamic Civilization in the Fourth Hijri Century, Adam Metz, translated by Muhammad Abd al-Hadi Abu Ridah, Arab Book House for Publishing, Beirut - Lebanon, 5th edition, D.T.

14- Hakim al-Ma`rah Ahmad bin Abdullah bin Suleiman al-Ma`ri, Omar Farrukh, Dar Lebanon for Printing and Publishing, Beirut-Lebanon, D.T.

15- Studies in the history of Arab philosophy ,, Kamel Hammoud, Lebanese House of Printing and Publishing, Beirut - Lebanon, 1st edition, 1991 AD.

16- Derayat Abi Ala Al-Ma'ari, her subjects and art formulation, Raja Taher Obaidan, a master's thesis submitted by the College of Education for Girls, University of Kufa, 2006 AD.

17- Derayat Al-Layl Abi Ala Al-Ma'ari, a semantic study, Shlway Ammar, Modern Book Scientist, 1st edition, 2010 AD.

18- Evidence of miracles in the science of meanings, Abd al-Qaher al-Jarjani, investigation: Abd al-Hamid Hindawi, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut, 1st edition, 2001.

19- Diwan Abi Firas Al-Hamdani, investigation: Khalil Al-Duwaihi, Arab Book House, Beirut, Lebanon, 1994.

20- Al-Jawahery Office, Muhammad Mahdi Al-Jawahery, Dar Al-Hayat, 2011.

21- Symbol in Arab Poetry, Jalal Abdul-Khaleq, Diyala Journal for Humanities Research, College of Education for Humanities, No. (52), 2011 AD.

22- Symbolism in Arabic Literature, Darwish Muhammad Al-Jundi, Nahdet Misr for Printing, Distribution and Publishing, Cairo, D.

23- Symbol and Symbolism in Contemporary Poetry, Muhammad Fattouh Ahmed, Dar Al-Maaref, 2nd edition, 1978 AD.

24- Symbolism and Romanticism in Lebanese Poetry, Umayyad Hamdan, Dar Al-Rasheed Publishing, 1981 AD.

25- The Qur'anic message in the science of mysticism, Abu al-Qasim al-Qushairi al-Nisaburi, investigation: Ma`ruf Zureik and Ali Abd al-Hamid, Dar al-Khair, 1st edition, 1988 AD

26- The Psychology of Creativity in Art and Literature, Youssef Mikhael, The Egyptian General Book Authority, 1st edition, 1986 AD.

27- Psychology of the mentally disturbed, Adeeb Al-Khaldi, Baghdad, 1976.

28- Explanation of linguistics, Abu Al-Ala Al-Maari, investigation: Mrs. Hamed, Munir Al-Madani, Zainab Al-Qousi, and Wafa Al-Aasar under the supervision of Dr. Hussein Nassar, the Egyptian General Book Authority, Dr.

29- Annotations of the fall of the ulna, an investigation: Mustafa Al-Saqa, Abdel-Rahim Mahmoud, Abdel-Salam Haroun, Ibrahim Al-Abyari and Hamed Abdel-Majid, supervised by Dr. Taha Hussein, Egyptian General Book Authority, 3rd edition, 1986 AD.

30- The poetry of Dabal Bin Ali Al-Khuzai, made by Dr. Abdul Karim Al-Ashter, Publications of the Arabic Language Academy, Damascus, Damascus, 2nd edition, 1983 AD.

31- Al-Sahah, "The Crown of Language" and "Sahih Al-Arabiya", Ismail Bin Hammad Al-Gohary (d. 393 AH), investigation: Ahmed Abdul Ghafour Attar, Dar Al-Alam for millions, 4th edition, 1990 AD.

32- The Mayor in the Laws and Literature of Al-Hassan, Al-Hasan Bin Rashiq Al-Qayrawani (d. 456 AH), by: Muhammad Mohiuddin Abdul-Hamid, Al-Saada Press in Egypt, 2nd edition, 1955 AD.

33- In Philosophical Literature, Muhammad Shafiq Shaya, Nawfal Foundation, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1980 AD.

34- Al Kamil in History, Izz al-Din Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karam known as Ibn al-Athir (d. 630 AH), Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, Lebanon, 2012

35- Lisan Al-Arab, Ibn Manzur (d. 712 AH), investigation: Abdullah Al-Kabeer, Muhammad Ahmed Hassab Allah, and Hashim Muhammad Al-Shazly, House of Knowledge.

36- The coding game (studies in symbols, language and myth), Dr. Abdel-Hadi Abdel-Rahman, the Arab spread Beirut, Lebanon, I 1, 2008 AD.

37- The Arbitrator and the Great Perimeter, Abu al-Hasan Ali bin Ismail bin Sayyidah (d. 458 AH), investigation: Abd al-Hamid Hindawi, Scientific Books House, Beirut - Lebanon, 1st edition, 2000 AD.

38- The doctrines of Western literature and its manifestations in modern Arabic literature, Dr. Salem Ahmed Al-Hamdani, Mosul University Press, 1989.

39- Literary doctrines, Dr. Jamil Nassif Al-Takriti, Cultural Affairs House, Baghdad, 1990.

40- The Guide to Understanding Arab Poetry and Its Manufacture, Dr. Abdullah Al-Tayyib Al-Majzoub, Publisher: Government of Kuwait Press, 2nd edition 2015 CE.

41- Mourouj Al-Thahab and Al-Jawhar Minerals, Abu Al-Hassan Ali Bin Al-Hussein Bin Ali Al-Masoudi (D 346 AH), Arab Book House, Beirut - Lebanon, 2nd edition, 2007 AD.

42- With Abu Ala 'Al-Ma'ari on the Journey of His Life, Aisha Abdul Rahman Bint Al-Shati, publisher Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut - Lebanon, 1st edition 1972

43- With Abu Ala'a in his prison, Taha Hussein, Hindawi Foundation for Education and Culture, 2012.

44- A dictionary of writers (instructing the Arab to know the writer), Yacout Al-Hamwi (d. 623 AH), investigation: Dr. Ihsan Abbas, publisher: Dar Al-Gharb Al-Islami, 1st edition, 1993 AD.

45- Al-Balad Al-Baladat, Yacout Al-Hamwi (d. 623 AH), Dar Sader, Beirut, Lebanon, 1977.

46- Al-Mu'ajam Al-Ain, Abu Abdul-Rahman Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi (d. 175 AH), investigation: Dr. Mahdi Al-Makhzoumi, Dr. Ibrahim Al-Samarrai, publisher Dar and Al-Hilal Library, D.

47-From the yarn of jurists, Ali Al-Tantawi, Dar Al-Manara, Jeddah, Saudi Arabia, 1st edition, 1988 AD.

48-Self-tendency in the poetry of the fourth century AH, Sattar Abdullah Jassem, PhD thesis submitted to the College of Education / University of Qadisiyah, 2012.

49-Criticism of poetry, Qudamah bin Ja`far (d. 327 AH), investigation by Dr.: Mohamed Abdel-Moneim, Scientific Books House - Beirut, Lebanon, d.

50-The mortality of notables and news of the sons of time, Abu Bakr bin Khalkan (d. 681 AH), investigation: Dr. Ihsan Abbas, Dar Sader - Beirut - Lebanon, d.

51-Antigenic dichotomies in the poetry of Safa Al-Haidari, Dr. Wissam Muhammad Munshid Al-Hilali, Al-Qadisiyah Journal for Humanities, Volume (22) No. (3) year 2019.

52- http://qu.edu.iq/journalart/index.php/QJHS/article/view/42/7

53-2- The formal and linguistic communication process in postmodern arts, Maher Nafea Kamel Al-Nasiri, Al-Qadisiyah Journal for Humanities, Volume (22) No. (4) year 2019.

54-http://qu.edu.iq/journalart/index.php/QJHS/article/view/101/50